التسلسل الزمني لكل من مملكتي سبأ ومعين من خلال الشواهد الأثرية

د.منير العريقي•

مقدمة :

ما زالت مسألة قدم الممالك اليمنية القديمة عن بعضها وبداية ظهور كل منها ككيان سياسي مثار جدل عند كثير من الباحثين المهتمين بدراسة الحضارة اليمنية القديمة، ليس الأمر كذلك فحسب بل أن هناك اختلاف بينهم حول أقدم مملكة تبلورت ككيان سياسي، ومن ذلك قدم كل من مملكتي سبأ ومعين عن بعضهما.

وما زالت النظرية السائدة عند معظم الباحثين وخاصة العرب منهم وقليل من الأجانب تقول بقدم مملكة معين عن مملكة سبأ وأنها كانت السباقة في التكوين السياسي وتنظيم أفرادها وقبائلها كمملكة، إلى جانب سبقها في الجانب اللغوي وبداية الكتابة في اليمن القديم.

ولا يمكن إحصاء عدد الباحثين الذين تبنوا تلك النظرية أو تبعوا من قالوا بها منذ فترة طويلة من الزمن تزامنت مع بداية الاهتمام بالحضارة اليمنية القديمة بشكل جدي في القرن التاسع عشر (١) ولم تنتهي حتى وقتنا الحالي، وهناك عدد كبير منهم ما زال يتبنى ذلك حتى وقتنا الحالي، وينقلون عن سابقيهم في مؤلفاتهم دون تمحيص أو تدقيق

• د. منير عبد الجليل العريقي ـ جامعة إب ـ اليمن.

(١) أول من تبنى نظرية قدم مملكة معين عن مملكة سبأ المستشرق النمساوي إدوارد جلازر (Edward Glazer) الذي قام بعدد من الرحلات العلمية إلى اليمن امتدت خلال عشر سنوات بدأت عام ١٨٨٢م واستمرت حتى عام ١٨٩٤م قام خلالها بزيارة عدد من المناطق ونسخ حوالي ١٠٣٢ نقش أهمها نقش النصر في مدينة صرواح العاصمة الأولى لمملكة سبأ ،أنظر لذلك : صالح، عبد العزيز الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية ١٩٨١، ص ٣٩-٤٠ ؛ وأدعى أن معين أقدم من سبأ بسبب عدم ذكرها من قبل المؤرخين والنسابة العرب وذكر عدد من مدنها ومنها نشن في النقش النصر للمكرب السبئي كرب إل وتر في القرن السابع ق.م مما جعله يعتقد بتقادم عهدها، وأكد ذلك الرحالة جون فليبي الذي نشر قوائم ملوكها في منتصف القرن العشرين وجعل بداية حكمهم هو القرن الثاني عشر ق.م أنظر : عبد الله يوسف محمد أوراق في تاريخ اليمن وأثاره ١٩٩٢م، ص ٢١٢ وتوالت السلسلة بعد ذلك والنقل لتلك النظرية حتى وقتنا الحالي فعلى سبيل المثال لا الحصر ذكر موسكاتي، سبتينو أن مملكتي سبأ ومعين متعاصرتين، أنظر كتابه الحضارات السامية ١٩٨٦، ص ١٩٢ ؛ وجعلها مهران عند ترتيبه لممالك اليمن القديم قبل مملكة سبأ، وينقل عن عدد من الباحثين أن بداياتها بين الألف الثالثة والثانية ق.م وتحديداً في الفترة بين ١٥٠٠-٧٠٠ق.م ، مهران، محمد بيومي دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٢١٩- ٢٢٠ ويرجع (عصفور) بدايتها إلى عام ١٣٠٠ق.م ولذلك يجعل ترتيبها في كتابه قبل مملكة سبأ ، عصفور ، محمد أبو المحاسن معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٢٥١ ونفس المعلومة موجودة في كتاب إسماعيل، حلمي محروس الشرق العربي القديم وحضاراته ١٩٩٧، ص ١٩٢، وأخيراً ترد المعلومة بشكل غير مباشر في عدد من الكتب اللغوية فقد ذكر (قبيسي) أن اللهجة المعينية هي أقدم من اللهجة السبئية، ويرى أن مصطلح (لهجة سبئية) غير دقيق من حيث التسلسل الزمني لتطور لهجات الممالك اليمنية القديمة لأن المعينية هيالأقدم ، قبيسي، محمد بهجت فقه اللهجات العربيات ١٩٩٩، ص ٦٧٧

في الأمر، أو حتى الاطلاع على ما هو جديد حول الموضوع، وخاصة الاكتشافات الأثرية الجديدة في عدد من مواقع ازدهار الممالك اليمنية القديمة والتي نفذتها أو تقوم بتنفيذها عدد من البعثات والمعاهد الأثرية الأجنبية العاملة في اليمن.

ونحاول في هذه الدراسة الإجابة عن التساؤل السابق المتعلق بقدم مملكتي سبأ ومعين عن بعضهما، وأيهما كانت السباقة في مجال التحضر والمدنية والتكوين السياسي كمملكة اعتماداً على الشواهد الأثرية التي خلفتها كل منهما، واستخدام الطرق العلمية الصحيحة في تأريخ اللُقى الأثرية، لأن الآثار والمخلفات الحضارية المادية هي في اعتقادنا أهم شاهد يمكن الاعتماد عليه في كتابة حضارة وتاريخ أي شعب من الشعوب القديمة كونها من صنع أيديهم وابتكار مخيلاتهم، وهي أصدق ما يمكن الاعتماد عليه في هذا الجانب.

وسبب كتابة هذه الدراسة أننا ومن خلال قراءتنا لكثير من المؤلفات والبحوث التي تتناول الحضارة اليمنية القديمة والممالك التي ازدهرت في ذلك النطاق الحضاري لا زالت تتناول الموضوع بطريقة غير صحيحة، الأمر الذي يؤدي إلى اللبس وعدم لفهم للتطور الحضاري في هذا الجزء من الشرق الأدنى القديم، الذي شهد ازدهاراً يضاهي ذلك الذي كان موجوداً في الأجزاء الحضارية الأخرى في الشرق الأدنى القديم، كما هو الحال في الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد الرافدين.

ولكي نتناول ذلك الأمر الشائك والصعب بشكل منهجي اعتماداً على الأساليب العلمية في البحث، يجب علينا أن نتطرق إلى كل ما يتعلق بتلكم المملكتين ومن جوانب مختلفة حتى نستطيع الخروج بنتائج يمكن الاعتماد عليها بعد ذلك وبشكل أساسي في كتابة تاريخهما ضمن إطار النمط الحضاري الواحد لحضارة اليمن القديم.

في التسمية

سميت الممالك اليمنية القديمة بأسماء مختلفة الغرض منها إثبات نوع من الاستقلال السياسي عن الكيانات الأخرى، ومن ذلك مملكتي سبأ ومعين، فقد ارتبط اسم مملكة سبأ بتكوينها الاجتماعي القائم على أساس البنية القبيلة والتحالف بين كل القبائل المكونة للمملكة التي اتحدت في ذلك الإطار السياسي الكبير الذي عرف بنفس الاسم الذي يرجع في الأصل إلى قبيلة سبأ التي تعتبر أساس تلك المملكة.

ويذكر الاسم في النقوش السبئية مرتبطاً بعبارة (شعبن/ سبأ) والشعب في اللغة اليمنية القديمة يعني القبيلة المستقرة في مكان معروف بحدود معروفة لدى القبائل الأخرى، وتعنى التسمية أيضاً أن تلك القبيلة قد بلغت درجة من التحضر تميزت به عن الكيانات السياسية الأقل تنظيماً ([٢]) ولعل ذلك هو المقصود في قوله تعالى" *يا أيها إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عن الله اتقاكم إن*

([٢]) بيستون، أ ف، وآخرون المعجم السبئي ١٩٨٢، ص ١٣

الله عليم خبير " ([٣]) فكلمة قبيلة شائع بشكل كبير في وسط الجزيرة العربية وفي اللغة العربية الفصحى، أما الشعب فهي شائعة في اليمن القديم وهناك فرق كير بين مفهوم القبيلة في المنطقتين سواء من حيث التكوين والتنظيم أو التحضر.

وقد اختلف اللغويون العرب في معنى اسم قبيلة سبأ فمنهم ([٤]) من يشتق الاسم من الجذر الثلاثي " س ب ي " غير مهموز الآخر ويعني أسر لأنه كان لقب عبد شمس بن يشجب بن يعرب ، وقد سمى بذلك لأنه سبى خلقاً كثيراً.

ويرد اشتقاق الاسم في اللغة اليمنية القديمة ليدل في مجمله على معنى مخالف لما ذكره اللغويون العرب، فهو يرد مهموز الآخر ويعني "أدى عملاً ، أو أنجز مهمة " وتأتي كلمة "سبأة" لتعني حملة أو غزوة، أو رحلة تجارية ([٥]) ونفهم من الإخباريين والنسابة العرب أن سبأ اسم لرجل سميت به القبيلة([٦]) ومن ثم بقى الاسم عندما تكونت وازدهرت كمملكة بنفس الاسم.

ويشتق اسم مملكة معين من الجذر الثلاثي (م ع ن) الذي يرد في النقوش اليمنية القديمة بنفس الصيغة، بحذف حرف الياء الذي يعتبر من حروف اللين في اللغة اليمنية القديمة، ولا يوجد في معاجم تلك اللغة ما يعين في معرفة معنى الاسم، ويبدو أن المعنى الذي ورد في المعجم السبئي تحت نفس الجذر هو "حالما" ([٧]) لا يمت لمعنى اسم المملكة بصلة.

ونجد أن المعنى الذي يرد في معاجم اللغة العربية يدل في المقام الأول على الماء الجاري، وهو مضاد للغور أي الماء الراكد، أو الشيء اليسر الهين ([٨]) والمنطقة التي ازدهرت فيها مملكة معين في الهضبة الشرقية من اليمن كانت كثيرة المياه الجارية التي تأتي عن طريق السيول، وقد ازدهرت عدد من مدنها على ضفتي مجرى الخارد ونرجح أن معنى الاسم له علاقة بذلك الأمر.

([٣]) سورة الحجرات الآية ١٣

([٤]) ابن منظور، أبى الفضل جمال الدين لسان العرب مجلد ١٤ ، ١٩٦٨، ص ٣٦٧؛ ويوافقه في ذلك (الزبيدي) ، الزبيدي ، محمد مرتضى تاج العروس مجلد ١ ، ١٩٦٦، ص ١٦٩

([٥]) بيستون، أ ف، وآخرون مرجع سابق ، ص ١٢٢

([٦]) يورد الطبري عند تفسير الآية (١٥) من سورة سبأ **" لقد كان لسبأ في مسكنهم آية...** ..." حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المروي عن فروة بن مسيك المرادي قال : " قلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ، ما كانرجلاً أو امرأة، أو جبلاً ، أو دواب؟ فقال :لا لقد كان رجلاً من العرب له عشرة أولاد فتيمن منهم ستة وتشأم أربعة، فأما الذين تيمنوا فهم كندة وحمير والأزد والأشعريون ومذحج وأنمار، الذين منهم خثعم وبجيلة، و الذين تشأموا فعاملة وجذام ولخم وغسان " أنظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جريرجامع البيان في تفسير القرءان، مجلد ١،ج١ ١٩٧٨، ص٥٢-٥٣

([٧]) بيستون، أ ف، وآخرون مرجع سابق ، ص ٨٣

([٨]) المقرئ، أحمد بن محمد المصباح المنير ط٢، ١٩٩٧، ص٢٩٧ ؛ وكذلك الحموي ياقوت معجم البلدان ج٥، ص١٦٠

الموقع

اختلفت الرقعة الجغرافية التي شغلتها مملكة سبأ بحسب تطورها السياسي بعد أن سيطرت على أماكن عديدة من أراضي الممالك الأخرى عبر فترات زمنية مختلفة.

وكغيرها من الممالك اليمنية تركزت نشأتها في بداية تكوينها السياسي في المنطقة الشرقية من اليمن، حيث شكلت مدنها مع مدن الممالك الأخرى هلال خصيب على حافة صحراء صيهد (رملة السبعتين) (شكل ١)([٩]). ورغم تحديد بعض المؤرخين لموقع بعض مدن مملكة سبأ إلا انهم أعطوها أكثر من مساحتها الحالية، فعندما حدد المؤرخ الهمداني موقع مدينة مأرب عاصمة المملكة ذكر أنها تمتد بين " برية وبحار " أي بين مفازة صيهد شرقاً وحتى بحر تهامة (البحر الأحمر) غرباً ([١٠]) أي أنها تمتد حتى منطقة الجوف شمالاً وما حاذاها من المرتفعات الشرقية، وتضم مناطق أرحب وخولان، وقاع صنعاء وقاع البون، وفي فترة من تاريخها شملت أرض اليمن بالكامل ([١١]) ومن ذلك نفهم تغيير الرقعة التي شغلتها تلك المملكة وتفاوتها من التوسع والانكماش بحسب الحالة السياسية التي مرت بها.

وتبعاً ذلك يمكن أن نفهم أيضاً اختلاف تحديد مساحتها وموقعها من قبل بعض المؤرخين والرحالة والجغرافيين الكلاسيكيين، فقد ذكر الجغرافي اليوناني إراتوسيثينس Eratosthenes(٢٧٦-١٦٩ ق.م) في كتابه الجغرافيا أن مملكتي سبأ وقتبان تحتلان المنطقة المجاورة للمضايق وسواحل الخليج العربي، وحدد موقع مملكة معين بالقرب من البحر الحمر، أن مملكة حضرموت فتقع إلى الشرق من تلك الممالك. ونقل بليني Pilny المتوفى ٧٩م عن سابقيه في كتابه التاريخ الطبيعي أن مملكة سبأ تمتد من شاطئ البحر الأول إلى شاطئ البحر الجنوبي، أي أنها تضم جزء من ساحل البحر الأحمر وجزء من ساحل البحر العربي، وهي بذلك تمتد حول الحد الداخلي لمملكة قتبان ([١٢]) ونستنتج من ذلك التغير في المساحة التي ذكرها كل من المؤرخين السابقين باختلاف الفترة الزمنية التي حدد فيها كل منهما مساحتها، وهي فترة زمنية طويلة تمتد من منتصف القرن الثالث ق.م إلى الربع الأخير من القرن الأول الميلادي، ويعكس ذلك أهمية مملكة سبأ التاريخية والسياسية في تاريخ اليمن القديم، حتى أنها في مرحلة من مراحل تطورها السياسي سيطرت على اليمن بالكامل.

وقد اختلف الأمر كلية بالنسبة لموقع مملكة معين حيث اهتم عدد قليل من المؤرخين بتحديد موقعها ومساحتها الجغرافية، ولا يختلف كثير منهم حول ذلك الأمر، أو حتى عدد المدن التي كانت تتبعها.

([٩]) غالب، عبده عثمان عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية. في كتاب مشروع وادي الجوبة الآثاري ج ١ ١٩٨٤-١٩٨٥ ص ١٦

([١٠]) الهمداني، أبو محمد الحسن بن يعقوب الإكليل ج٨ ، ص ٧٥

([١١]) عبد الله، يوسف محمد مرجع سابق، ص ٢٣

([١٢])أوليري، دي لاسي جزيرة العرب قبل البعثة ١٩٩٠، ص ١٠٣

فقد أورد عدد من المؤرخين والجغرافيين تحديد لموقع تلك المملكة وعبر فترات زمنية مختلفة تزيد عن بضعة قرون، ويتفقون جميعاً أنها تقع في وادي الجوف في السهول الشرقية من اليمن ([١٣]) غير أن ذلك الوادي من الاتساع بحيث يجعل ذلك التحديد مخلاً من الناحية الجغرافية، فهو يمتد في عرضه من الغرب إلى الشرق بطول خمسة أميال ويحده من الغرب المرتفعات التي تسيل مياها إليه عبر عدد من الأودية، أما من الناحية الشرقية فتحده رمال الربع الخالي، ومن الشمال سلسلة جبال يام وسليام([١٤]).

وهذه المساحة كبيرة جداً بالنسبة للمكان الذي ازدهرت فيه تلك المملكة، فقد تمثلت في جزء صغير منه يقع إلى الشمال من مملكة سبأ كما أن مملكة سبأ وعبر فترات زمنية مختلفة سيطرت على أجزاء كبيرة منه.

وجاء تحديد موقع مملكة معين عند عدد من المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين مبهماً في أغلب الأحيان، وربما يكون تحديداً لبعض مدنها فقط، وليس رقعتها الجغرافية، فقد ذكر الجغرافي اليوناني إراتوسيثينس عند تحديده لمواقع الممالك اليمنية القديمة أن مملكة معين تقع إلى الشرق من البحر الأحمر([١٥]) وفي مرحلة متأخرة من ذلك التاريخ، أي في الربع الأخير من القرن الأول ق.م ظلت المساحة التي تمثلها تلك المملكة صغيرة، فقد عدد المؤرخ سترابو Strabo -الذي رافق الحملة الرومانية بقيادة أليوس جالوس على ممالك اليمن القديم عام ٢٤ق.م -الممالك اليمنية القديمة من الشمال إلى الجنوب فبدأ بمدن مملكة معين ومن ثم سبأ وبعد ذلك حضرموت، وأورد أن مملكة قتبان تقع في وسط الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية ([١٦]).

ومن ذلك يمكن القول أن موقع مملكة معين كان إلى الشمال من مملكة سبأ وعلى جزء صغير من وادي الجوف، وبمقارنتها بمملكة سبأ نجد أنه لم يكن لها ذلك التوسع والانتشار الجغرافي الذي تمتعت به مملكة سبأ، وظلت مساحتها محدودة في منطقة جغرافية معينة وعلى شكل عدد من المدن، ولم يكن لها ذلك الازدهار والتوسع وطول المرحلة الزمنية التي نعمت بها مملكة سبأ.

التسلسل الزمني لمملكتي سبأ ومعين

كان الخوض في التسلسل الزمني للممالك اليمنية القديمة بشكل عام يكتنفه الكثير من الصعوبة، وخاصة في تلك المرحلة الزمنية التي تمثل بداية نشأتها السياسية وظهور الملكية فيها، ومازال الأمر كذلك حتى وقتنا الحالي في نواحي كثيرة، ولم تخرج مملكتي سبأ ومعين عن ذلك الأمر كونهما تنتميان لنفس الإطار الحضاري.

([١٣]) السعيد، عصام تاريخ العرب في العصور القديمة ٢٠٠٠، ص ٥٦

([١٤]) الهمداني ، أبو محمد الحسن بن يعقوب مرجع سابق، ص ١٥٧

([١٥]) أوليري، دي لاسي مرجع سابق ، ص ١٠٣

([١٦]) Strabo The Geography of Strab 1961 Pp. 243 - 253 ؛ وقد ذكر في ذلك الكتاب مدن مملكة معين فقط وليس المملكة ككيان سياسي مما يدل على أن تلك المملكة كانت قد اندثرت واحتوتها مملكة سبأ وسيطرت على مناطق شاسعة منها.

ولكن وباستخدام الشواهد الأثرية الصرفة والابتعاد عن الروايات الشفهية غير الأكيدة والتي تحمل الزيادة والنقصان، أصبح بالإمكان التطرق إلى ذلك الأمر بشئ من الارتياح، وخاصة بعد تطور وتعدد أعمال التنقيب الآثاري في اليمن خلال العشرين السنة الماضية وظهور شواهد مهمة تعين في تحديد بداية كل مملكة.

والمرحلة الزمنية التي أدت إلى اختلاف الباحثين حول قدم وبداية كل مملكة عن الأخرى وبالتالي قولهم بقدم مملكة معين عن سبأ هي تلك المتعلقة بتبلورهما كمملتين أو ظهورهما ككيان سياسي مستقل ومتميز عن الكيانات الأخرى، وتتركز تلك المرحلة ببداية الألف الأول ق.م، غير أن معظم الباحثين يهملون المرحلة الزمنية التي سبقت ذلك، بالرغم من أهميتها باعتبارها الأساس في معرفة أي من المملكتين قد وصلت إلى الملكية والكيان السياسي قبل الأخرى، وهي تلك المرحلة المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الكتابة، والتي كان الخوض فيها صعباً في السابق، لذا يجب دراسة تلك المرحلة الزمنية في كل من المملكتين، وخاصة أنها تتعلق بالجانب الأثري الصرف دون الوثائق الكتابية التي تمثل وجهة نظر الطرفين، وذلك لمعرفة أي منهما كان لها السبق والقِدم في مجال التحضر.

عصور ما قبل التاريخ

نظراً لاتساع الرقعة التي سيطرت عليها مملكة سبأ من مساحة اليمن القديم، فقد تمَثلت فيها أغلب عصور ما قبل التاريخ عبر مراحلها الزمنية المختلفة، بحيث يمكن اعتبار عدد كبير من المواقع التي تعود إلى تلك العصور في مناطق مختلفة من اليمن تابعة لمملكة سبأ، سواء كانت في المناطق السهلية الشرقية أو مناطق المرتفعات الشمالية، على اعتبار أن مملكة سبأ قد سيطرت على كل تلك المناطق بعد ذلك .

وسوف يتم التركيز عند دراسة آثار تلك العصور على المنطقة الجغرافية التي ظهرت فيها مملكة سبأ والمناطق المجاورة لها ، وتزامُن ذلك مع بداية ازدهارها ونشأتها ككيان سياسي.

ويبدو أن الإنسان اليمني القديم قد استوطن منطقة مأرب الحالية منذ عصور ما قبل التاريخ الأولى، فقد عثر على شواهد العصر الحجري القديم الأسفل (Paleolithic Lower) في تلك المنطقة والأطراف الغربية للربع الخالي، وهي في معظمها عبارة عن أدوات مصنوعة من الحجارة تدل على النشاط المكثف لذلك الإنسان، كما تدل تقنية صناعتها على أنها ضاهت تلك الأدوات التي عثر عليها في الحضارات الأخرى التي تعود إلى نفس العصر، وهي عبارة عن أدوات حجرية مشطوفة من جانب واحد تسمى مهارس (Choppers) إلى جانب الفؤوس اليدوية ([١٧]).

([١٧]) غالب، عبد عثمان عصور ما قبل التاريخ . الموسوعة اليمنية ،ج (٢) ١٩٩٢ ، ص ١٥٩

وتعددت المواقع التي تعود إلى ذلك العصر ومنها موقع في وادي الجوبة الذي يقع إلى الجنوب من مدينة مأرب، عثر فيه على عدد من الفؤوس اليدوية التي تشبه تلك التي عثر عليها في الموقع السابق (١٨) .

ويبدو أن وادي الجوبة والأطراف الغربية للربع الخالي كانا يمثلان منطقة جذب سكاني أو استيطان مثلى لما قبل السبئيين أو إن شئت أجداد السبئيين. فقد توالى ارتقاء مفاهيم وخبرات ذلك الانسان في العصر الحجري القديم الأوسط (Mesolithic) حيث طور من صناعة أدواته الحجرية واستخدم في ذلك التقنية المعروفة بالليفلوائية ـ الموستيرية، وكانت في أغلبها عبارة عن مكاشط (Scrapers) ورؤوس سهام بدائية الصنع بالإضافة إلى السكاكين (١٩).

وتميز وادي الجوبة ـ الذي يمثل حوض جيولوجي قديم محاط بالجبال- بأنه كان صالح للنشاط الزراعي بسبب توفر المناخ المناسب لذلك، بالرغم من قلة هطول الأمطار، ولكن السيول التي كانت تأتي من مناطق الجبال المرتفعة المحيطة به لعبت دوراً في تكييف ذلك الحوض للاستيطان والنشاط الزراعي (٢٠) وخاصة في العصور اللاحقة.

تجدر الإشارة إلى أن هناك اتجاه جديد بين الباحثين والآثاريين المتخصصين في عصور ما قبل التاريخ على إلغاء تسمية العصر الحجري القديم الأوسط (Mesolithic) وتسميته بالمرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم (Epi - Paleolithic) على اعتبار أن إنسان ذلك العصر لم يحرز تقدماً كبيراً في تلك المرحلة يمكن اعتباره حداً فاصلاً لعصر جديد، ولأن الأدوات التي استخدمها ونمط المعيشة التي عاشها في تلك المرحلة تشابه إلى حد كبير تلك التي وجدت في العصر الذي سبقه.

ودلت الاكتشافات على أن الإنسان الذي عاش في المنطقة التي ازدهرت فيها مملكة سبأ قد استمر في العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Paleolithic) في صناعة أدواته الحجرية بالتقنية الليفلوائية- الموستيرية، التي كانت في معظمها عبارة عن نصال (Blades) مصنوعة من شظايا طويلة ورقيقة تمثل في أغلبها مكاشط وسكاكين (٢١) ارتبطت بالنشاط الذي كان يقوم به الإنسان الذي عاش في تلك المرحلة .

وكانت المنطقة التي ازدهرت فيها مملكة سبأ والمناطق المجاورة لها قد شهدت مناخاً مناسباً للحياة في حقبة الهولوسين (Holocene) ١٠٠٠٠- ٦٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر، حيث عثر في الأطراف الجنوبية للربع الخالي على بقايا عدد من البحيرات الصغيرة، وأثبتت الدراسات أن الأرض كانت مغطاة بالعشب ونمت فيها أنواع من

---

(١٨) Sauer , J ; et al Archaeology along the Spice Route of Yemen. In Araby the Blest , 1988

(١٩) غالب، عبده عثمان مرجع سابق ، ص ١٥٩-١٦١

(٢٠) Sauer , J ; et al Ibid. Pp. 96- 97

(٢١) غالب، عبده عثمان مرجع سابق ، ص ١٦١

الأشجار مما أدى إلى تكاثر عدد من الحيوانات مثل فرس النهر والبقر الوحشي والغزلان والماشية، وكانت نسبة هطول الأمطار مرتفعة وخاصة تلك الموسمية في فصل الصيف. وبالرغم من تناقص عدد البحيرات ومساحتها في منتصف حقبة الهولوسين إلا أن أنواع من الأشجار ظلت تنمو مما أدى إلى استمرار حياة كثير من الحيوانات التي عاشت في الحقبة السابقة، ومن المحتمل أن الجمل قد عاش في تلك المرحلة الزمنية بينما انقرض فرس النهر، وقد نضبت تلك البحيرات نهائياً في نهاية عصر الهولوسين ٦٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر ([٢٢]).

وقد تزامن ذلك مع ظهور عصر جديد من عصور ما قبل التاريخ وهو العصر الحجري الحديث (Neolithic) وما يميز ذلك العصر تعدد المواقع التي عثر فيها على آثاره، في مناطق مختلفة من الأراضي التي ازدهرت فيها مملكة سبأ، إلى جانب تطور المجتمع وزيادة عدد أفراده، وتكوين القرى الأولى، وبداية استقرار الإنسان في أماكن محددة، وممارسة الزارعة، واستئناس بعض الحيوانات.

ففي منطقة مأرب ورملة السبعتين تمثل ذلك العصر بوضوح من خلال العثور على عدد من الأدوات الحجرية التي استخدمها إنسان ذلك العصر مثل رؤوس السهام من النوع المنعق (ذي العنق) إلى جانب أدوات الصيد الأخرى. كما تميز ذلك العصر في بدايته بعدم وجود الفخار، وبالرغم من انتقال الإنسان فيه من حياة الصيد إلى الزراعة البدائية فقد ظل الصيد يمثل مصدراً ثانوياً لنشاط ذلك الإنسان، وأظهرت الأدوات التي عثر عليها في عدد من المواقع التي تمثل بدلية ذلك العصر تشابهاً مع تلك التي مثل نفس العصر في الجانب الإفريقي من البحر الأحمر، بينما تشابهت الأدوات التي تمثل المرحلة المتأخرة منه مع ما عثر عليه في بلاد الرافدين ومنطقة بلاد الشام وقدأعطيت تواريخ أولية لذلك العصر اعتماداً على ظهور بعض التقنيات التي استخدمت في صناعة الأدوات إلى المرحلة بين الألف السابع والخامس ق.م، وكانت نهايته في الألف الثالث ق.م ([٢٣]).

وفي منطقة وادي حريب ـ أحد أودية مأرب ـ عثر على آثار ذلك العصر في عد من المواقع أهمها الهجلة الحمراء، وقد اكتسب ذلك الموقع أهميته من أنه يدل على نشاط إنساني مكثف، صنع فيه الإنسان أنواع مختلفة من الأدوات أغلبها من الشظايا، إلى جانب الأدوات صغيرة الحجم (Lithic Industry) تعتبر من مميزات ذلك العصر. ويدل على ارتقاء مفاهيم الإنسان اليمني ما قبل السبئي في ذلك العصر تنوع المادة الخام التي صنع منها أدواته، مثل الكوارتز والجرانيت والبازلت والحجر البركاني (Obsidian)، حيث صنع المكاشط الجانبية (Side Scrapers) والمكاشط العلوية (End Scrapers) إلى

([٢٢]) McClure, H.A Late Quaternary Palaeogeography and Landscape Evolution of the ' Rub Al Khali. In Araby the Blest, 1988, Pp. 9-13

([٢٣]) المعمري، عبد الرزاق أحمد راشد ثقافتان من العصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية. أدوماتو ع (١) ٢٠٠٠، ص ٧-٨ ؛ ٢٢

جانب المخارز (Borers) ورؤوس السهام، وبقايا عظمية للحيوانات أغلبها للغزال([٢٤])، ومن ذلك التنوع في الأدوات يمكن أن نستنتج كثافة النشاط الزراعي الذي مارسه إنسان ذلك العصر، إلى جانب تزايد أعداده، وتطور خبراته.

وقد أصبح وادي الجوبة في ذلك العصر مكاناً منسباً للاستيطان وارتقاء المجتمع، وتطور ذلك في العصر اللاحق له (العصر الحجر النحاسي Chalcolithic) حيث يرى الباحثين أن الفصل بينهما صعباً إلى حد كبير لذا يطلق عليهما اسماً متداخلاً (Neolithic \ Chalcolithic)، وأهم ما يميز ذلك العصر في ذلك الوادي استقرار الإنسان التام، فقد عثر على آثار المباني البدائية التي قطنها، وكانت في اغلبها دائرية الشكل ظهرت على شكل ترسبات رمادية اللون وسوداء بنيت على جوانب الوادي، وقد أرخ أحد المواقع في المنطقة بواسطة التاريخ المطلق (الكربون المشع) إلى الفترة بين ٥٩٤٠- ٥٣٩٠ ق.م، وأثبتت الدراسات أن إنسان ذلك العصر قد عاش على شكل جماعات صيادة معاصرة للتجمعات الرعوية في العصر الحجري النحاسي في منطقة الأردن وفلسطين، وخاصة في موقعي تليلات الغسول وبئر السبع ([٢٥]) .

على أن ذلك الإنسان قد مارس الزراعة المدجنة في منطقة بدبدة بالقرب من مأرب (شكل٢)

فقد كبرت مساحة القرى الزراعية التي أرخت إلى الألفين الرابع والثالث ق.م ، وموورست الزراعة على نطاق واسع، كما شهدت تلك القرى كثافة سكانية كبيرة. ويبدو أن للتغيرات المناخية التي حدثت في ذلك العصر دوراً في توصل سكان تلك القرى إلى الزراعة المدجنة، كما دلت الشواهد الأثرية على ارتقائهم في كثير من جوانب الحياة، حيث مارسوا نوعاً من التجارة المحلية وكانت لهم صلات تجارية مع عدد من القرى الزراعية في مناطق المرتفعات مثل الحداء ـ في محافظة ذمار حالياً ـ وخولان - في محافظة صنعاء ـ كما قاموا بتربية الحيوانات على نطاق واسع. ودلت كثافة الأدوات التي عثر عليها في منطقة بدبدة مثل أدوات الجرش والطحن والأدوات الرحوية والفخار المتعدد التقنيات على المستوى المعيشي المستقر والمتقدم لأولئك القوم ([٢٦]) الأمر الذي انعكس على العصر اللاحق للعصر النحاسي وهو العصر البرونزي، حيث كان البداية لظهور الكيانات الكبيرة وتطور المجتمع للوصول إلى مرحلة الكيانات السياسية وظهور الكتابة.

ورغم بعد عدد من المواقع التي تمثل العصر البرونزي (Bronze Age) عن العاصمة السبئية مأرب إلا أنها تعتبر ضمن إطار تلك المملكة وفي مجال ازدهارها،

([٢٤]) De Mario , Francesco The Neolithic of Ramlat Sabatayn Desert. WE, Vol (36)No (4) 1986 Pp. 414- 418

([٢٥]) Sauer , J ; et al op.cit., Pp. 97-99

([٢٦]) غالب،عبد عثمان تقرير عن المسح والتنقيبات في منطقة بدبدة مأرب.الموسم الأول. التاريخ والآثار،ع (١) ١٩٩٣، ص١٣-١٤

وعثر على الموقع الرئيسي الذي يمثل ذلك العصر في المنطقة الواقعة بين صنعاء ومأرب فيما يعرف بخولان الطيال بالقرب من وادي يناعم (العرقوب) ويغطي ذلك العصر من حيث الإطار الزمني الألف الثاني ق.م بكامله، ويدل على تطور وازدهار الجماعات التي كانت تعيش في العصر النحاسي بالقرب من تلك المواقع. ويتكون الموقع من عدد من القرى الزراعية الكبيرة الحجم عن تلك التي وجدت في العصر السابق للعصر البرونزي، ويبلغ مساحته حوالي هكتار عثر فيه على عدد من المباني ذات الاستخدام العام والخاص، ،إلا أن أغلبها منازل للسكن تدل على نشاط إنساني مكثف ومتعدد المجالات، وكانت أغلب المنازل دائرية الشكل وبيضاوية (شكل ٤) تلتف حول منطقة دائرية مركزية يتراوح قطرها بين ٢٠-٣٠م، بنيت من صخور جرانيتية ملونة. وظهرت نتائج عينات الكربون المشع لتؤكد تبعية ذلك الموقع للعصر البرونزي حيث أرخت إحدى العينات إلى ١٧٥٠ +٨٠ق.م أي للفترة بين (١٨٣٠- ١٩٧٠ق.م)ودلت الشواهد الأثرية التي عثر عليها في الموقع وخاصة الفخار (شكل ٥) على أن الجماعات التي عاشت فيه كانت مناظرة لتلك التي كانت تعيش في كل من سوريا وفلسطين في نفس المرحلة الزمنية بالرغم من اختلاف تسميتها من عالم لآخر مثل المرحلة المتقدمة من العصر البرونزي المبكر ، أو العصر البرونزي الوسيط (أ) (MB A) أو العصر البرونزي الوسيط (I) MBI أو المرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر EB (IV) ([٢٧]).

ويدل على تطور المجتمع الذي عاش في ذلك الموقع العثور على شواهد لبداية الاعتقاد الديني من قبل أجداد السبئيين، وهو عبارة عن تمثال من حجر الجرانيت (Phallic Idol) حمل صفات دينية([٢٨]) وربما استخدم للتعبد.

وعرف إنسان ذلك العصر زراعة الحبوب كالذرة و الشعير، وقام بتربية أنواع مختلفة من الحيوانات مثل الماعز والخراف والثور والخنزير ([٢٩]). ويبدو أن ذلك العصر امتد إلى عدد من المناطق وخاصة في نهايته، حيث عثر على عدد من المواقع التي تنتشر في المنطقة التي ازدهر ت فيها مملكتي سبأ وقتبان ومنها موقع هجرة التمرة وهجر الريحاني أرخت إلى نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي (Late Bronze/ Early Iron) حيث أرخ موقع هجرة التمرة بواسطة الكربون المشع إلى ١٣٣٠ + ١١٠ ق.م أي للمرحلة ١٤٤٠-١٢٢٠ق.م ، وقد عمل سكان تلك المواقع بالزارعة المكثفة، حيث استصلحت أجزاء من الأراضي في الوادي، وسكن المزارعين في مساكن بالقرب من الحقول كجماعات مستقرة، وصنعوا أنواع متقنة من الفخار (شكل ٦) كما قاموا باستخراج المعادن من عدد من المناجم في المنطقة وأهمها النحاس، ودلت

([٢٧]) De Maigrit, Alessandro A bronze Age for Southern Arabia. WE, Vol. (34)No (1-3) Pp. 75; 103-104 , 1984.

([٢٨]) De Maigrit, Alessandro Ibid. Pp. 85; 101

([٢٩]) Fadele,G Francesco Fauna of Wadi Yana ،im Yemen. WE ,Vol. (34)No (1-3)1984.,P 117

الشواهد على أنهم قاموا بصناعة البرونز([٣٠]) الأمر الذي استمر بعد ذلك في العصر الحديدي، وهو العصر الذي ظهرت فيه مملكة سبأ ككيان سياسي متطور.

ومن أهم مميزات بداية العصر الحديدي كبر مساحة القرى السبئية التي كانت قد ظهرت في العصر السابق، وتزايد عدد السكان، إلى جانب تعدد المواقع. ولكن الارتقاء والتطور المهم تشكل بظهور نماذج من المدن الصغيرة والتي استمر في الارتقاء والسكنى من قبل علية القوم السبئيين بعد ذلك وخاصة في مرحلة ظهور الكتابة، حيث كشف بالقرب منها على عدد من النقوش التذكارية بخط المسند تذكر بعض الأعمال الموسمية التي كانوا يقومون بها.

وخير مثال على مدن ذلك العصر المدينة التي تم الكشف عنها في وادي يلا عند المجرى العلوي لوادي ذنه ـ الذي ازدهرت عند أطرافه السفلى عدد من المدن السبئية أهمها مأرب العاصمة الثانية- وتعبر تلك المدينة عن مدى التنظيم الذي وصل إيه السبئيين في بداية تكوينهم السياسي. وقد أرخ بداية الاستيطان فيها إلى القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م، والموقع الذي بنيت فيه يدل على أنها كانت مستقلة وذات نظام اقتصادي متطور، فهي مستطيلة الشكل ذات أسوار عالية من الحجارة مبنية بالنظام المزدوج (Case mate Walls) وقد ضمت عدد من المباني العامة والمنازل الفخمة أو الفلل التي كان يقطنها علية القوم من السبئيين لفترة محددة من الزمن للقيام بطقوس الصيد الديني المقدس مع عدد من الكهنة ([٣١])، وظهرت في هذا العصر مملكة سبأ ككيان سياسي، وعُرف اسمها من خلال النقوش التي بدأت تظهر في تلك المرحلة الزمنية.

وإذا ما أردنا أن نطبق ذلك العمق الحضاري والتاريخي على آثار مملكة معين، فإننا لا نجد تلك المناطق التي يمكن البحث فيها عن آثار تلك العصور نظراً لصغر المساحة التي ازدهرت فيها تلك المملكة عند مجرى سيل الخارد بالقرب من سمملكة سبأ.

وهناك تقصير في البحث عن آثار تلك العصور في المنطقة التي ازدهرت فيها تلك المملكة نوعاً ما. وإذا ما رجحنا وجود آثار تلك العصور نتيجة لعالمية الثقافة فيها، وقرب المواقع التي تتبع مملكة سبأ من مناطق ازدهار مملكة معين وربما قد امتد تأثيرها إليها، إلى جانب وقوع بعض مدن مملكة معين على الأطراف الغربية للربع الخالي مما يرجح وجود آثار تلك العصور وخاصة العصر الحجري القديم بتفرعاته، على اعتبار انه لا يمكن الفصل المناطقي لآثار ذلك العصر، فإنها لن تكون نفس الزخم كتلك التي عثر عليها في المناطق التي ازدهرت فيها مملكة سبأ.

([٣٠]) Sauer , J ; et al op.cit., Pp. 105-107

([٣١]) دي ميجريت، إليساندرو المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي يلا (خولان الطيال) الجمهورية اليمنية . ١٩٨٨، ص ٣٩؛١٤

ولكن عدم العثور حتى الآن على آثار العصر الحجري الحديث والعصر النحاسي والعصر البرونزي، -وهي العصور التي بدأ فيها التمايز الحضاري واستقلال كل منطقة بنشاطها- ضمن إطار مملكة معين يؤكد على العمق الحضاري لمملكة سبأ وتسلسلها المتواصل حتى ظهورها ككيان سياسي، ويدل من جهة أخري على عكس ذلك بالنسبة لمملكة معين وخاصة فيما يتعلق بالعمق الحضاري.

العصر التاريخي

يقصد بالعصر التاريخي تلك المرحلة الزمنية التي ظهرت فيها الكتابة في اليمن القديم ، وأصبح بالإمكان معرفة أسماء الممالك اليمنية القديمة ومدنها وملوكها بخلاف العصور السابقة. لذا فإن دراسة هذه المرحلة الزمنية تتميز بوجود الكتابة إلى جانب الآثار لتعين في فهم ودراسة الموضوع من جوانب مختلفة.

ومن هذا المنطلق فإن دراسة ظهور الكتابة لا يقتصر على مملكتي سبأ ومعين فقط ولكنه يشمل الممالك اليمنية الأخرى مثل قتبان وحضرموت وأوسان، ولذلك الأمر أهمية كبرى لأنه مرتبط أيضاً ببداية ظهورها ككيان سياسي،من خلال معرف أي منها قد توصل إلى الكتابة قبل الأخرى.

وقد اختلف الباحثون حول بداية ظهور الكتابة في اليمن القديم، وانقسموا في ذلك إلى فريقين، فريق أخذ بما سمي بالتسلسل الزمني الأدنى (Low Chronology) وتزعم هذا الفريق الباحثة الفرنسية جاكلين بيرن (Pirenne)في الخمسينات من القرن العشرين. وفحوى ما قالته أن اقدم نقش كتابي في اليمن القديم يعود إلى القرن الخامس ق.م فقط وهو يتبع مملكة سبأ، وقد بنت نظريتها تلك على دراستها لعلم تطور الخط (Paleography) حيث درست تطور الخط اليمني القديم وذكرت أنه قد مر بعدد من المراحل يعود أقدمها إلى القرن الخامس ق.م وليس قبل ذلك ([٣٢]) .

وقد ربطت ذلك حسب رأيها بمفاهيم وتبريرات تبدو غير منهجية ومنطقية في كثير من الأحيان، فهي تقول بأن الأبجدية اليمنية القديمة قد اشتقت من الأبجدية الإغريقية، وأن أغلب مظاهر التطور الحضاري والثقافي في اليمن القديم حدثت في نهاية النصف الأول من الألف الأول بعد أن توسع اليمنيون في تجارتهم وصلاتهم الخارجية، وأضافت أن أغلب المنجزات الحضارية اليمنية القديمة ما هي إلا تقليد لتلك الفارسية والإغريقية في مجالات مختلفة مثل العمارة والفنون والصناعة ([٣٣]).

وقد أخذ بتلك النظرية عدد من البحثين المهتمين بدراسة حضارة اليمن القديم، وخاصة الشق المتعلق بالخط دون الأخذ بعين الاعتبار الشق المتعلق بالتأثيرات

([٣٢]) Pirenne, Jaequeline Paleographical Chronology of the Sabaean- dated Inscriptions with references to several Ears. (PSAS) No (4) , London 1974 P 18

([٣٣]) Van Beek, Gus South Arabian History and Archaeology. In The Bible and The Ancient Near East, 1979, P 238 ؛ وكذلك غالب، عبده عثمان نظريات الفجوة الثقافية والاستيطان الحضري في اليمن القديم. التاريخ والآثار ، ع(٢،٣) ١٩٩٣-١٩٩٤، ص٥

الخارجية والتقليد، ومن أولئك الباحثين رايكمانز (J. Rychmans) ومولر (D. H Muller) وهارتمان (Hartin Hartman) ([٣٤]) وأهملت تلك النظرية من قبل أغلب الباحثين الغربيين المهتمين بدراسة حضارة اليمن القديم، بسبب تطور الاكتشافات الأثرية وظهور نتائج جديدة نقضت تلك التي قالت بها جاكلين بيرين ومن قبل بعض الباحثين الفرنسيين أنفسهم.

وأخذ الفريق الثاني بنظرية التسلسل الزمني الأعلى (High Chronology) التي تقول بأن أقدم نقش في اليمن القديم يعود إلى القرن العاشر أو التاسع ق.م على أقل تقدير، وتزعم هذا الفريق كل من أولبرايت (W.F Albright) وفان بيك (Van Beek) واخذ بها عدد من الباحثين منهم هومل (Hommel) وفيليبي (J. Phillpy) ([٣٥]).

واعتمد أصحاب تلك النظرية على علم الآثار وطرق التأريخ المطلق، حيث تم التنقيب من قبل فان بيك في موع هجر بن حميد التابع لمملكة قتبان وعثر على آنية فخارية (Jar) تحمل بعض الحروف بخط المسند في أسفل المرحلة الثانية من الطبقة الثانية من الموقع، وأعلى ذلك عثر على عينة خشبية تم تأريخها بالكربون المشع للفترة بين القرن الحادي عشر وبداية القرن التاسع ق.م وبالتالي فقد اقترح أن أقدم نقش يعود في المتوسط إلى القرن التاسع ق.م ([٣٦]). وفي الجانب اللغوي ومن خلال مقارنة ظهور ونطق بعض الحروف في النقوش اليمنية القديمة واللغة السينائية ـ التي تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م ـ وكذلك اللغتين العبرية والفينيقية مثل حرفي (ذ ، ظ) ومن خلال دراسة نقش يمني قديم كتب بشكل رأسي وجد أن ذلكما الحرفين كانا ينطقان في تلك اللغات قبل العصر الحديدي، وبالتالي فإن النقش اليمني القديم يعود إلى القرن العاشر ق.م ([٣٧]). تجدر الإشارة إلى أن ذلك النقش كتب باللهجة السبئية، وبالتالي يثبت أن أقدم نقش سبئي يعود لتلك المرحلة الزمنية، وأن السبئيين قد توصلوا إلى الكتابة قبل غيرهم من الممالك الأخرى في اليمن القديم.

وذلك الأمر يدل من جهة أخرى على قِدم السبئيين بالنسبة للممالك الأخرى ومنها مملكة معين، وعلى العمق الحضاري لتلك المملكة في اليمن القديم بشكل عام.

([٣٤]) Albright, W.F The Chronology of Ancient South Arabia in the light of the First Campaign of Excavation in Qataban. (BASOR) No (119) 1950 , P وكذلك أنظر رايكمانز، جاك حضارة اليمن قبل الإسلام. دراسات يمنية عدد (٢٧) ١٩٨٧، ص ١٢٧

([٣٥]) Albright, W.F Ibid. P 6

([٣٦]) Van Beek, Gus Radio Carbon date for early South Arabia . (BASOR) No (143) 1950 Pp. 6-9 ؛ وكذلك Van Beek, Gus op.cit.1979, Pp. 240 – 241

([٣٧]) Albright, W.F On the early South Arabic Inscription in vertical columns. (BASOR) No (138) 1955, P50 ؛ وكذلك Albright, W.F A note on early Sabaean Chronology. (BASOR) No (16) 1956, P 10

غير أن عدد من أعضاء الفريق الثاني الذي أخذ بالنظرية الثانية ذكروا أن القبائل التي كونت الممالك اليمنية القديمة قد هاجرت من شمال الجزيرة العربية في أوقات متقاربة من نهاية الألف الثاني ق.م، بسبب الضغط الآشوري على شمال الجزيرة العربية ، حيث جعلوا هجرة السبئيين في عام ١٢٠٠ق.م بينما هاجر المعينيين قبل ذلك أي في حوالي ١٥٠٠ق.م ([٣٨]) ونلاحظ من ذلك أن ذلك الفريق قد جعل هجرة المعينيين إلى اليمن القديم قبل السبئيين تمشياً مع النظرية القديمة التي كانت ترجح قدم مملكة معين عن سبأ.

وقد ثبت من خلال أعمال المسح والتنقيب الأثري أنه لا أثر لهجرة أي من الأقوام اليمنية من شمال الجزيرة العربية إلى جنوبها، لأن التسلسل الحضاري في اليمن القديم بدأ من عصور ما قبل التاريخ حتى وصل إلى مرحلة تكوين الممالك اليمنية القديمة، وأن عدد السكان قد تزايد ، حيث ارتقوا من حيث الخبرات والمفاهيم حتى وصلوا إلى مرحلة الكيانات السياسية، وخير مثال على ذلك التسلسل الحضاري والزمني الطبيعي لمملكة سبأ من عصور ما قبل التاريخ حتى تكونت كمملكة في بداية الألف الأول ق.م، وهو ما تم تناوله سابقاً.

مملكتي سبأ ومعين في المصادر التاريخية.

من الدلالات على قِدم أي من الأمم أو مملكة من الممالك ذكرها في المصادر التاريخية للأمم الأخرى، فذلك الأمر يدل على أهميتها وانتشار سمعتها وعمقها الحضاري، وتبعاً لذلك يجب تتبع ذكر كل من مملكتي سبأ ومعين في المصادر التاريخية ليكون ذلك شاهداً من ضمن الشواهد التي نسوقها حول قدم كل منها على الأخرى.

إن أقدم المصادر التاريخية التي ذكرت مملكة سبأ بشكل مباشر هي المصادر الآشورية، فقد ورد في حوليات عدد من الملوك الآشوريين ذكر لعدد من المكاربة السبئيين الذين قدموا الهدايا لأولئك الملوك من أجل توطيد المصالح التجارية واستمرار مرور القوافل السبئية إلى شمال الجزيرة العربية، وقد توالى ذكر أولئك المكاربة بحسب التسلسل الزمني للملوك الآشوريين، منذ منتصف القرن الثامن ق.م، فقد ذكر الملك تيجلات بيلاصر الثالث (٧٤٩-٧٢٧ ق.م) في حولياته إن المكرب أيتي أمرا (يثع أمر) قدم له الهدايا المكونة من الذهب البخور ([٣٩]).

ويعتبر ما ذكر في حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني الذي حكم في نهاية القرن الثامن ق.م (٧٢٢-٧٠٥ق.م) أكثر شهرة بين الباحثين حيث ذكر فيها أن نفس المكرب السابق(يثع أمر)قدم له الهدايا أيضاً ([٤٠]) وفي عهد ابن الملك الآشوري

([٣٨]) Phillips, Wendlle Qataban and Sheba. 1955, P 247 وكذلك هومل، فرتز التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية. في كتاب التاريخ العربي القديم، القاهرة١٩٥٨،ص٦٣

([٣٩]) أوليري، دي لاسي مرجع سابق ، ص ١٠٤؛ وكذلك مهران، بيومي مرجع سابق ، ص ٢٧٠

([٤٠]) Albright ,W.F op.cit., P 10 ؛ مهران، بيومي مرجع سابق ، ص ٢٧١

سرجون الثاني المسمى سنحاريب الذي استمر حكمه من نهاية القرن الثامن حتى مطلع القرن السابع (٧٠٥- ٦٨١ق.م) خلفاً لأبيه اختلف اسم المكرب الذي قدم الهدايا للملوك الآشوريين لتوطيد العلاقات التجارية بين الجانبين فقد ذكر في حولياته أن كرب إلو (كرب إل وتر) قدم له العديد من الهدايا ([٤١]) وهناك أكثر من ملك سبئي حمل ذلك الاسم أشهرهم صاحب نقش النصر GL 1000 الذي تحول من لقب مكرب إلى لقب ملك نتيجة للانتصارات العسكرية التي حققها على الكيانات السياسية الأخرى في اليمن القديم، وذكرها في النقش السابق.

ومن حيث التسلسل الزمني لتلك المصادر التي ذكرت السبئيين تأتي التوراة التي يجمع البحثين على أنها كتبت بعد القرن السابع ق.م ([٤٢]) ويدل على أهمية مملكة سبأ تعدد ذكرها في التوراةفي أكثر من موضع، كم يدل أيضاً على ذيع صيتها بين الأمم الأخرى. وكان الجانب الاقتصادي السبب المباشر لذكرها فقد ورد اسم سبأ في سفر التكون (الإصحاح العاشر) كاسم علم ، تارة على أنه من أبناء كوش وتارة أخرى على أنه من أحفاد سام، أي أنه في المرة الأولى يعد إفريقاً حامياً أما في المرة الثانية فهو سامي .

ويدل هذا التناقض على ضعف التوراة كمصدر تاريخي نتيجة للفترة الطويلة التي فصلت بين نزولها على سيدنا موسى في القرن الثالث عشر ق.م وكتابتها في القرن السابع ق.م حيث دخلها كثير من التبديل والتحريف والروايات التاريخية غير الصحيحة.

ويظهر السبب الاقتصادي في ذكر مملكة سبأ بشكل جلى وعلاقة السبئيين التجارية بالأمم الأخرى في بقية المواضع التي ذكرت فيها في التوراة ، فقد ورد اسم سبأ في سفر أيوب (الإصحاح السادس)مرتبطاً بتيماء ليدل على العلاقات التجارية بين الجانبين من خلال مرور القوافل التجارية السبئية بتلك المنطقة في شمال الجزيرة العربية. كما ورد في سفر حزقيال (الإصحاح الثامن) وصف لتجارة السبئيين المزدهرة آنذاك والعلاقة التجارية بين السبئيين والعبرانيين.

على أن الإشارة والذكر الأكثر شهرة هي تلك التي تعلقت بقصة زيارة ملكة سبأ لسيدنا سليمان، فقد ورد ذكرها مرتين الأولى في سفر الملوك (الإصحاح العاشر) والثانية ـ وهي تكرير للسابقة ـ في سفر أخبار الأيام الثاني (الإصحاح التاسع) ولم تخلو تلك الإشارة من الجانب الاقتصادي ، حيث تذكر القصة الهدايا التي أحضرتها ملكة سبأ معها من الذهب والطيب والأحجار الكريمة، ليدل على غنى تلك المملكة.

([٤١]) هومل، فرتز مرجع سابق ، ص ٨٧

([٤٢]) إبراهيم، معاوية فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع ق.م. الموسوعة الفلسطينية، مجلد (٢) ط١،١٩٩٠ ص ١١١

وتأتي المصادر الكلاسيكية(اليونانية والرومانية) بعد التوراة من حيث الترتيب الزمني، حيث تعدد فيها ذكر السبئيين عبر مراحل زمنية مختلفة تبدأ من منتصف القرن الرابع ق.م، وكان للجانب الاقتصادي المتعلق بتجارة البخور ـ التي اشتهر بها السبئيين خاصة واليمنيين بشكل عام -دوراً في أن يكون لمملكة سبأ ذلك الثقل من الناحية التاريخية عند أولئك المؤرخين والجغرافيين والرحالة.

ويعد ما ورد في كتاب تاريخ النبات للمؤرخ ثيوفراستس (Theophrastos) (٣٧٢- ٢٧٨ ق.م) تلميذ أرسطو أقدم ذكر للسبئيين حيث ذكر أنهم من سكان الجزيرة العربية، كما قام بتصنيف مجتمعهم إلى طبقات مختلفة مثل المحاربين والمزارعين والتجار، وأثنى على ذكائهم التجاري وسفنهم التي كانوا يبحرون بها (٤٣).

ثم توالى بعد ذلك ذكر السبئيين في تلك المصادر ومنا ما ذكره إراتوستينيس (Eratosthenes) (٢٧٦- ١٦٩ ق.م) حيث تحدث عن مملكة سبأ وحدد موقعها بالنسبة للممالك اليمنية الأخرى(٤٤) وجاء ذكر السبئيين بعد ذلك في كتاب الجغرافيا من قبل المؤرخ سترابو (Strabo) (٤٦ ق.م- ١٩م) بأنهم قبيلة كبيرة، وعدد خيرات بلادهم مثل المر والبخور والقرفة، كما وصف منازلهم التي تتسم بالفخامة وعاصمتهم التي أطلق عليها مريابا (٤٥) كما ذكر ديودور الصقلي في قرون ما بعد الميلاد بأنهم متفوقون على جميع جيرانهم من الناحية التجارية (٤٦).

وقد أكدت المصادر العربية والإسلامية أهمية تلك المملكة وشرفها القرآن الكريم بتسمية سورة من سوره باسمها وهي سورة سبأ، إلى جانب ذكر قصة زيارة ملكة سبأ لسيدنا سليمان (٤٧)كما ذكرت أيضاً في كتب التفسير والحديث وعند الإخباريين والنسابة العرب في أكثر من موضع.

أما بالنسبة لمملكة معين فإن الأمر مختلف بشكل كبير فهي لم تذكر في المصادر الآشوريةنهائياً، كم أنها لم تذكر في التوراة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، سواء على صعيد الملوك أو القبيلة أو الكيان السياسي.

ويبدو أن المصادر التي ذكرت المعينيين من خارج اليمن اقتصرت على فترة زمنية محدودة وهي تلك التي ارتبطت بازدهارها في القرن الرابع ق.م، وتعد المصادر الكلاسيكية (اليونانية ـ الرومانية) أقدم من أشار إلى مملكة معين ككيان سياسي وشعب له مكانته في اليمن القديم. وأقدم ذكر للمعينيين في هذا الجانب عند المؤرخ إراتوستينيس (Eratosethenos) في بداية القرن الثالث ق.م حيث ذكر أن مملكة معين معاصرة لمملكة

---

(٤٣) بيرين، جاكلين اكتشاف جزيرة العرب. بيروت ١٩٨٠، ص ٢٩-٣٠

(٤٤) أوليري، دي لاسي مرجع سابق ، ص ١٠٣

(٤٥) Strabo op cit. P 247-249

(٤٦) Diodorus of Sicily 1950 Pp. 225-233

(٤٧) القرآن الكريم سورة النمل الآيات ٢٢-٤٤

سبأ وحضرموت وقتبان في تلك الفترة الزمنية، وأن عاصمتهم تسمى قرنا (قرناو) ([٤٨]).

وقد أطنب المؤرخون والجغرافيون والرحالة الكلاسيكيين في وصف المعينيين إبان فترة ازدهارهم، وخاصة فيما يتعلق بعملهم في تجارة البخور ونقلة إلى شمال الجزيرة العربية، وعلاقتهم بالشعوب الأخرى مثل الجرهائيين في شرق الجزيرة العربية حيث اشتهرا بنقل البضائع إلى جزيرة بالقرب من خليج العقبة. كما ذكر بيليني بأنهم مجاورين للسبئيين، وأنهم يعتبرون من أهم الشعوب التي تاجرت بالبخور، وأول شعب تاجر به وبلغوا بذلك شأن عظيم عن الشعوب الأخرى.وظل ذكر المعينيين في المصادر الكلاسيكية حتى بعد اندثار كيانهم السياسي المتمثل بالمملكة وعودتهم على شكل قبائل صغيرة تشتغل بالتجارة، ففي منتصف القرن الثاني الميلادي ذكر المؤرخ بطليموس في كتابه الجغرافيا بأنهم شعب عظيم ([٤٩]) مما يدل على التأثير الذي تركوه بعد اندثار مملكتهم في القرن الأول قبل الميلاد .

ويعد المؤرخ بطليموس آخر من ذكر المعينيين في تلك المصادر بحيث لم يذكروا بعد ذلك في أي مصدر من المصادر الكلاسيكية. كما أن المصادر العربية والإسلامية في وسط الجزيرة العربية لم تذكرهم البته كما ذكرت السبئيين سواء في القرآن الكريم أو كتب التفسير والحديث أو أخبار النسابة العرب، ولم تعد تذكر سوى بعض مدنهم مثل قرناو على أنها من حصون اليمن وبراقش التي استمر سكناها حتى العصر الإسلامي، كمدينة لا علاقة لها بالمعينيين.

الازدهار الحضاري لمملكتي سبأ ومعين

التطور السياسي

يتفق الباحثون المهتمون بدراسة حضارة اليمن القديم على أن مملكة سبأ هي السباقة عن الممالك اليمنية الأخرى في كثير من المنجزات الحضارية ومنها التكوين السياسي، أي من حيث تبلورها كمملكة، وكان ذلك في بداية الألف الأول ق.م وذلك أخذاً بالتسلسل الزمني الأعلى، وتبعاً لذلك واعتماداً على نتائج الأبحاث الأثرية الجديدة فإن مملكة معين تبلورت ككيان سياسي (كمملكة) في القرن الرابع ق.م فقط وليس قبل ذلك حيث بدأت تظهر في النقوش أسماء ملوك معينيين مستقلين يحملون لقب بملك معين، ويعد الملك إل يفع يثع بن صدق إل ملك حضرموت أقدم من حكم تلك المملكة بعد تبلورها ككيان سياسي حسب ما تذكر النقوش، ثم توالت بعد ذلك أسماء الملوك المعينيين الذين استمروا في الحكم حتى منتصف القرن الأول ق.م وكان آخرهم إل يفع يشوع الذي اندثرت المملكة ككيان سياسي في عهده ([٥٠]).

([٤٨]) Winntt, F.V The place of the Minaeans in the history of Pre- Islamic Arabia. ASOR, No (37) Pp. 3-4 , 1939

([٤٩]) Winntt, F.V Ibid. P4

([٥٠]) Albright, W.F The Chronology of the Minaean Kings of Arabia. BASOR,

غير أن ذلك لا يعني عدم وجود المعينيين قبل القرن الرابع ق.م، فقد كانوا عبارة عن عدد من القبائل والمدن التي لا تتمتع بالوحدة السياسية، وفي أغلب مراحل تلك الفترة كانت معظم تلك القبائل والمدن تحت سيطرة مملكة سبأ وتابعة لها، فقد ذكر الملك السبئي كرب إل وتر في نقش النصر (GL1000) -الموجود في فناء معبد مدينة صرواح العاصمة الأولى لمملكة سبأ- أنه قام بحملات عسكرية تأديبية على عدد من المدن المعينية في وادي الجوف حاولت الخروج عن طاعته ومنها مدينة هرم ونشق ونشن، حيث أمعن في التنكيل بهذه المدينة الخيرة لأنها تمردت عليه أكثر من مرة فقام بتدميرها وإزالة سورها حتى الأساس، كما أسكن فيها قوم من السبئيين، وأمر ببناء معبد للمعبود السبئي القومي إل مقه فيها ([٥١]). وبالنظر إلى خريطة وادي الجوف (شكل ٣) وتوزيع المدن فيها نجد أن عدد من المدن غير تلك السابقة الذكر أعلاه هي سبئية في الأصل بنيت في قلب أراضي مملكة معين قبل أن تنشأ كمملكة من قبل عدد من المكاربة السبئيين، ومنها مدينة كتل (كتلم)التي تسمى حالياً الدريب، ومدينة عررت (عررتم) التي تسمى حالياً خربة سعود ([٥٢]) ومن ذلك يمكن القول أن أغلب مساحة منطقة وادي الجوف التي ازدهرت فيها مملكة معين هي سبئية سواء من الجانب الجغرافي أو على صعيد المدن التي كانت تستقل إبان فترات ضعف السلطة المركزية السبئية نتيجة للحالة الداخلية التي تمر بها مملكة سبأ.

ويُظهر ذلك من ناحية أخرى عدم الاستقلالية التامة لمملكة معين أو ظهور شخصية سياسية مميزة لها، أو حتى عسكرية نتيجة لقوة السبئيين، وكتعويض عن ذلك أنشأت مملكة معين عدد من المدن والمستوطنات خارج اليمن إبان فترة ازدهارها كان أهمها مدينة دِدان (العلا حالياً) إلى الشمال من يثرب ([٥٣]) وقد حملت اسم قريب من اسم مملكة معين هو معين مصران للدلالة على تبعيتها لمملكة معين، حيث كانت تحكم مباشرة منها.

العمارة

تعتبر العمارة بمختلف وظائفها من الشواهد الأثرية المادية التي تدل على السبق الحضاري من خلال ما توصلت إليه كل أمة من الأمم سواء من خلال بناء المدن أو المعابد أو التقنيات المستخدمة في البناء .

وفي هذا الجانب ومن خلال التنقيبات الأثرية في عدد من المواقع التي ازدهرت فيها مملكتي سبأ ومعين يمكن ملاحظة التبعية التامة من قبل مملكة معين لمملكة سبأ.

No (129) Pp.22;24 1953

([٥١]) بافقيه، محمد عبد القادر تاريخ اليمن القديم. بيروت ١٩٨٥، ص ٦٥-٦٦

([٥٢]) الجرو، اسمهان سعيد موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم). إربد ١٩٩٩، ص ٢١٥

([٥٣]) عبد الله، يوسف محمد مرجع سابق ، ص ٢١٥

فأسلوب بناء المدن المعينية مثل قرناو ويثل (براقش) ونشق ونشن سواء من حيث اختيار الموقع بالقرب من مجاري مياه السيول على ضفاف مجرى الخارد، أو من حيث شكل المدينة العام تشابه إلى حد كبير المدن السبئية مثل مأرب على ضفة مجرى وادي ذنه. ومن حيث شكل المدينة نجد أن أغلب المدن المعينية مستطيلة الشكل أو بيضاوية ، وهو نفس شكل المدينة السبئية التي تسبقها من حيث تاريخ النشأة فمدن مثل صرواح ومأرب يعود تاريخ بنائهما إلى ما قبل القرن السابع ق.م.

ويدل هذا الأمر على قدم مملكة سبأ عن معين وسبقها الحضاري في هذا الجانب، أضف إلى ذلك وكما سبق ذكره أن عدد من تلك المدن السابقة هي سبئية في الأصل مثل كتل وعررت ونشن إلى جانب المرحلة الأولى من مدينة يثل (براقش) ([٥٤]).

ويظهر جلياً التبعية الحضارية من قبل مملكة معين لمملكة سبأ من خلال العمارة الدينية المتمثلة بالمعابد سواء على صعيد التخطيط أو التصميم أو العناصر المعمارية أو تقنية البناء، فعدد كبير من المعابد المعينية ما هي إلا تقليد للمعابد السبئية الأقدم منها من حيث النشأة والنضج المعماري.

ففي مملكة سبأ ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد ظهر نمط من تخطيط المعابد سمى بالمعابد المستطيلة المحورية، أي تلك التي تقع عناصرها المعمارية مثل البوابة والفناء والأروقة وقدس الأقداس على محور واحد. ويمثل هذا الطراز معبد المعبود إل مقه المسمى معربم والمبني في منطقة المساجد خارج مأرب من قبل المكرب يدع إل ذريح (شكل ٧) ومعبد المعبود ودم ذي مسمعم المبني على سفوح جبل البلق القبلي بالقرب من مأرب أيضاً (شكل ٨) ، وعادة ما يكون مستطيل الشكل تفتح بوابته في الضلع القصير من الاتجاه الجنوبي الغربي، وتؤدي البوابة إلى فناء مكشوف يحف به من الجانبين وعلى طول الضلعين الطويلين للبناء رواقان محمولان على صفين من الأعمدة، تتفاوت عددها من معبد لآخر، وفي آخر الفناء المحرم المكون في العادة من ثلاث غرف غير متساوية المساحة ([٥٥]).

وقد تأثرت المعابد المعينية بالمعابد السبئية أكثر من معابد الممالك الأخرى، وظهر أكثر من مثال متأخر من حيث التاريخ يمثل ذلك التأثير، وقد بنيت أغلبها في القرن الرابع ق.م مما يدل على أسبقية مملكة سبأ في هذا الجانب الحضاري الهام.

ومن تلك الأمثلة معبد المعبود عثتر المبني على بعد ٨٠٠م إلى الشرق من مدينة قرناو عاصمة معين، فقد تطابق مع المعابد السبئية السابقة الذكر من حيث التخطيط والتصميم (شكل ٩) فهو مستطيل الشكل تفتح بوابته في الضلع القصير، وتؤدي إلى

([٥٤]) De Maigrit, Alessandro The Excavation of the Temple of NAKRAH at Baraqish (Yemen) PSAS, No (21) P 161 1991

([٥٥]) لوصف المعبدين بالتفصيل أنظر (I) Schmidt, Jurgen Tempel und Heiligtum von al-Masaged. ABY , band Pp. 130-137 Mainz 1982 وكذلك شميدت، يورجن معبد ودم ذي مسمعم . في كتاب تقارير أثرية من اليمن، ١٩٨٢، ص ٢٠-٢١

فناء مستطيل مكشوف يحف به من الجانبين رواقان محمولان على أعمدة مستطيلة على امتداد الضلعين الطويلين للمعبد وفي مؤخرة الفناء يقع المحرم ([٥٦]) بالرغم من صغر مساحته بالنسبة للمعابد السبئية.

والمثال الثاني للمعابد المعينية التي تعتبر تقليد للمعابد السبئية المستطيلة، مبني خارج مدينة أخرى من المدن المعينية ذات التأثير السبئي وهو معبد عثتر ذي رصفم الذي يقع إلى الشرق من مدينة نشن (المسمى حاليا السوداء) في وادي الجوف. فهو عبارة عن يناء مستطيل (شكل ١٠) أطواله ١٢،٥× ١١،٥م تفتح بوابته في الضلع القصير وتؤدي إلى فناء مكشوف محفوف برواقين محمولين على صفين من الأعمدة يتكون كل منهما من ثماني أعمدة مستطيلة الشكل، وفي مؤخرة الفناء يقع المحرم المكون من منصة مرتفعة صغيرة ([٥٧]).

وعلى صعيد العناصر المعمارية يلاحظ استلهام المعينيين لتصميم عدد منها من النماذج السبئية القديمة، فعلى سبيل المثال وفي مجال العمارة الدينية المتمثلة بالمعابد أخذ المعينيين من السبئيين نظام تصميم البوابة المائل سقفها للخلف والمكونة من أكثر من صف من الأعمدة، وهو تصميم وجد في المعابد السبئية الأولى مثل معبد معربم (شكل ١١) الذي يتكون من بوابتين خارجية وداخلية وكلاهما لهما نفس التصميم، حيث تتكون البوابة الخارجية من صفين من الأعمدة، يتكون الصف الأمامي من ستة أعمدة والصف الخلفي من عمودين فقط، وتصل بن رؤوس أعمدة الصف الأمامي من أعلى وبشكل عرضي عتبات مستطيلة الشكل، وتمتد عوارض بين أعمدة الصف الأمامي والخلفي بالطول لتكون سقف البوابة ([٥٨]) وهذا التصميم وجد أيضا في بوابة معبد ودم ذي مسمعم (شكل١٢) مع بعض التحوير في أعمدة الصف الخلفي التي لم تكن قد وجدت بعد، حيث ارتكزت العوارض على جدار المعبد مباشرة، وذلك بسبب قدم معبد ود عن معبد معربم.

وقد طبق المعينيون ذلك التصميم بحذافيره في بوابة عثتر خارج مدينة قرناو (شكل ١٣) مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة التي لا تخل بالشكل العام، وقد تمثل ذلك في عدد الأعمدة، فالبوابة هنا تتكون من ثلاث صفوف من الأعمدة متفاوتة الارتفاع، يتكون الصف الأمامي من أربعة أعمدة فقط وهي أطول أعمدة الصفوف الثلاثة، يصل بين رؤوسها أعتاب مربعة ، ويقع الصف الثاني خلف الصف الأول ويتكون من عمودين فقط أقل ارتفاعاً من أعمدة الصف الأول، وخلف ذلك يقع الصف

([٥٦]) Schmidt, Jurgen Der <ttr- Tempel bie Ma<in. ABY, band (I) Pp. 143-147, Mainz 1982

([٥٧])بريتون، جون فرانسوا تقرير أولي عن معبد عثتر ذي رصف (السوداء). دراسات يمنية،ع (٣٨) ص ٢١١- ٢١٩، صنعاء ١٩٨٩

([٥٨])فخري، أحمد معبد المساجد ببلاد مراد. في كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية (فاس) ١٩٥٩، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٥٨-٢٦١

الثالث ويتكون من عمودين أيضاً ، أقل ارتفاعاً من أعمدة الصف الثاني، وكانت البوابة مسقوفة بعوارض طولية تمتد بين أعمدة الصف الأول والثاني من جهة والثاني والثالث من جهة أخرى ليكون السقف مائل للخلف ([٥٩]) ويدل ذلك على سبق مملكة سبأ لمملكة معين في مجال التصميم المعماري لذلك النوع من البوابة، وتقليد المعينيين المتأخر للسبئيين في هذا المجال.

وفي جانب التقنيات المستخدمة في البناء استخدم السبئيين أساليب متقدمة ظهرت أقدم نماذجها في عدد من مبانيهم، ثم ما لبث المعينيون أن قلدوها في مرحلة زمنية متأخرة عن تلك التي ظهرت عند السبئيين ، ومن تلك الأساليب تقنية صقل الحجارة المعروفة بصقل الحواف ونقر الوسط (Marginally drafted, packed Masonry)، فقد مرت تلك التقنية بعدد من المراحل التطور بلغ عددها ست مراحل، كان أقدمها تلك التي ظهرت في المداميك السفلية لجدار معبد وعول صرواح في عاصمة السبئيين الأولى، وكذلك في معبد أوام (المسمى حالياً محرم بلقيس) حيث تميزت بصقل ناعم لحواف الحجارة ، وكان شريط الصقل ضيّق، وشذبت الحافتان العلوية والسفلية طولياً، أما الحافتين الجانبيتين فشذبتا بشكل عرضي، والنقر في وسط الحجر عميق حتى مستوى الحواف. وقد أرخت هذه المرحلة إلى القرن السابع ق.م، بينما ظهرت هذه التقنية في مباني مملكة معين في المرحلة الثالثة من مراحل تطورها وذلك في سور مدينة يثل (براقش) ([٦٠]) مما يدل على وجود مرحلة زمنية طويلة تمتد خلال المرحلة الأولى والثانية لم تعرف في المباني المعينية حتى استلهمته من السبئيين بعد ذلك في المرحلة الثالثة.

الديانة

للمعتقدات الدينية أهمية كبرى في تكوين شخصية الفرد المجتمع، وقد أظهر هذا الجانب عدم ظهور شخصية مستقلة للمعينيين، وقوة سلطة السبئيين وتأثيرهم الكبير.

ومن المعروف أن الممالك اليمنية القديمة عبدت في مرحلة ازدهارها ثالوث كوكبي تكون من القمر والشمس والزهرة، وقد عبدت تحت مسميات مختلفة وخاصة القمر الذي سمى في سبأ إل مقه وفي معين ود وفي حضرموت سين وفي قتبان عم وفي أوسان ود ([٦١]) في محاولة لإظهار نوع من استقلال كل كيان عن الآخر من خلال اختلاف اسم المعبود الرسمي للمملكة.

ومن الطبيعي والحال كذلك أن تكون عدد المعابد المبنية للمعبود القمر ـ كونه المعبود الرسمي والقومي لكل مملكة ـ أكثر من عدد المعابد المبنية للمعبودات الأخرى ففي مملكة سبأ بنيت أكبر عدد من المعابد للمعبود إل مقه (القمر) وجاءت المعابد

([٥٩]) Schmidt, Jurgen Der <ttr- Tempel bie Ma<in. op cit. Pp. 143-147

([٦٠]) Van Beek, Gus Marginally drafted, packed Masonry. In Archaeological Discoveries in South Arabia . Vol (II) P 281; 291 Baltimore 1958

([٦١]) على، جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ج (٥) بغداد ١٩٥٦، ص ١٢١

المبنية للشمس في المرتبة الثالثة والمعبود ود في المرتبة الثالثة، وكذلك الأمر بالنسبة لمملكة حضرموت حيث بنيت أكبر عدد من المعابد للمعبود سين ويلي ذلك من حيث الترتيب المعبودة الشمس ، ثم المعبود عثتر في المرتبة الأخيرة. وقد اختلف الأمر في مملكة معين حيث لم يعثر حتى الآن على معبد واحد للمعبود ود (القمر) في حدود المملكة، وهو المعبود الرسمي للمملكة، وبنيت أكبر عدد من المعابد للمعبود عثتر ثم يليه معابد الشمس وبعد ذلك يأتي المعبود ذي سماوي ([٦٢]).

وقد عثر على المعبد الوحيد للمعبود ود في مملكة سبأ وهو معبد ودم ذي مسمعم على جبل البلق القبلي بالقرب من مدينة مأرب، وقد بناه السبئيون في عهد المكرب يثع أمر بين وابنه ذمار علي فيما قبل القرن السابع ق.م، واشرف على بناه الكاهن يقدم إل، وقد كان كاهناً للمعبود السبئي إل مقه والمعبود ود في نفس الوقت ([٦٣]) مما يدل على أن المعبود ود كان سبئي في الأصل ثم اتخذه المعينيون معبوداً رسمياً لهم إبان مرحلة ازدهار مملكتهم في القرن الرابع ق.م.

ويؤكد عدم ظهور شخصية مستقلة للمعينيين في الجانب الديني، عدم السماح السبئيين لهم ببناء أي معبد لمعبودهم السمي ود في إطار مملكة معين، وإجبار الملوك المعينيين الأوائل على تقديم القرابين في المعبد الذي بناه السبئيون في إطار حدود مملكتهم، فمن ضمن النقوش التي عثر عليها في المعبد السابق تلك التي تحمل أسماء عدد من الملوك المعينيين الذين تقربوا لمعبودهم ود في ذلك المعبد ومنهم الملك وقه إل يفع الذي يعتبر من أقدم الملوك المعينيين وحكم في ٣٦٠ق.م ([٦٤]) أي في منتصف القرن الرابع ق.م، وهي الفترة الزمنية التي كانت فيها مملكة معين في أوج ازدهارها.

وتبعاً لذلك فقد اتجه المعينيون في فترات مختلفة من تاريخهم إلى بناء معابد لذلك المعبود خارج إطار السيطرة والتأثير السبئي، فقد انتشرت معابده في عدد من المدن والمستوطنات المعينية التي أنشأها المعينيون خارج اليمن كمحطات تجارية بحكم دورهم في توصيل البضائع إلى حوض البحر المتوسط ومصر، ومن ذلك منطقة دِدان (العلا) حيث عثر على معبد (بيت)للمعبود ود، ومعابد أخرى في قرية الفاو (ذات كهل) عاصمة مملكة كنده ([٦٥]).

([٦٢]) العريقي، منير عبد الجليل الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم. القاهرة،٢٠٠٢، ص ٨٣-٨٤

([٦٣]) موللر، والتر نقوش من معبد الإله ودم ذي مسمعم. في كتاب تقارير أثرية من اليمن، ج (١) صنعاء ١٩٨٢، ص ٢٩-٣٠

([٦٤]) موللر، والتر المرجع السابق، ص ٣١-٣٢

([٦٥]) Beeston, A.F Notes and Communications, Aminean Market Code, BSOAS, Vol. (LXI) P141 London , 1978

وكذلك Robin, Christian Tow Inscriptins from Qaryat Al- Faw mentioning women. In Araby the Blest. Pp. 168-175 Copenhagen 1988

ويدل ذلك الأمر على أن مملكة معين ما هي إلا كيان جانبي بالنسبة لمملكة سبأ، لم يكن لها ذلك الاستقلال التام، إلا في فترات ضعف مملكة سبأ، وهي فترت زمنية قصيرة لم يكن لها ذلك التأثير الكبير في مجريات الأمور، أما في أغلب فترات تاريخها فقد كانت تابعة لمملكة سبأ، ولم يسمح السبئيون لهم بأن يكونوا تلك المملكة القوية في الجانب السياسي والديني نتيجة لقصر الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها والتي لا تزيد عن ثلاثة قرون، ولتلاصق الحدود بينهما.

اللغة

لكل مملكة من ممالك اليمن القديم لهجتها اللغوية التي تختلف عن لهجة المملكة الأخرى بعدد من المميزات في الإطار اللغة اليمنية القديمة التي تعتبر الوعاء لكل تلك اللهجات، والفروق بين تلك اللهجات واضحة في جوانب مختلفة. ويعتبر اختلاف تلك اللهجات في نظر اليمنيين القدماء محاولة لإظهار الاستقلال والتمايز في إطار الوحدة الحضارية لليمن القديم.

وفي هذا الإطار كان انتشار تلك اللهجات تأكيد على تأثير أو سيطرة كل مملكة على الأخرى، لذا اقتصر وجود تلك النقوش في الإطار الجغرافي لكل مملكة إلا فيما ندر.

ومما يدل على قِدم مملكة سبأ عن معين وتأثيرها الكبير عليها أن كثير من النقوش التي عثر عليها في أراضي مملكة معين كتبت باللهجة السبئية ، ليس الأمر كذلك فحسب بل أن عدد من المدن التي تعرف بتبعيتها لمملكة معين كتبت نقوشها باللهجة السبئية الصرفة طوال فترة تاريخها، ومنها مدينة نشق (البيضاء) ونشن (السوداء) ([٦٦]) إلى جانب مدينة هرم التي ظلت تكتب نقوشها باللهجة السبئية حتى مرحلة متأخرة من قرون ما بعد الميلاد.

وكان على الملوك المعينيين الأوائل أن يكتبوا نقوش تقديماتهم لمعبودهم الرسمي ود في معبد ودم ذي مسمعم السبئي باللهجة السبئية الصرفة،ومن ذلك ما قدمه الملك وقه إل صدق بن إل يفع السابق الذكر من نقوش تكريسية ونذرية في بداية ازدهار مملكة معين ([٦٧]).

ومن ذلك يمكن القول أنه حتى في الجانب اللغوي لم تكن لمملكة معين تلك الاستقلالية التامة عن مملكة سبأ مما يدل على التأثير الكبير والزخم الحضاري الذي لعبته مملكة سبأ مقارنة بمملكة معين في حضارة اليمني القديم، وبالتالي فقد كانت ملهمتها في كثير من جوانب الازدهار الحضاري من قبل نشأتها كمملكة.

الخلاصة

أصبحت النظرية القديمة بقدم مملكة معين عن سبأ غير ذات جدوى بعد ظهور نتائج الأبحاث الأثرية في السنوات الخيرة، ويجب على الباحثين عدم تناولها في دراساتهم

([٦٦]) عبد الله، يوسف محمد مرجع سابق، ص ٢١٤

([٦٧]) موللر، والتر مرجع سابق ، ص ٣١-٣٢

وأبحاثهم حتى لا يخل ذلك بمنهج التسلسل الزمني لممالك اليمن القديم من جهة وتناول ذلك الإطار الحضاري بشكل صحيح من جهة أخرى.

تعتبر مملكة سبأ هي الإطار الحضاري الأهم في تاريخ اليمن القديم. وتنسب إليها الكثير من المنجزات الحضارية في مختلف الجوانب، مثل العمارة والفنون والاتساع الجغرافي والجانب الأهم وهو السبق في المجال السياسي والتبلور كمملكة، والفراق شاسع في هذا الجانب بينها وبين مملكة معين.

ليس لمملكة معين تلك المكانة الحضارية الكبيرة -مقارنة بمملكة سبأ- والتي ظهرت في بداية القرن العشرين من قبل عدد من الباحثين الأجانب، فقد كانت عبارة عن تكوين سياسي صغير وجانبي بالنسبة لمملكة سبأ، حيث انضوت تحت سيطرتها وتأثيرها الحضاري خلال أغلب فترات تاريخها، ولم تظهر لها شخصية سياسية أو عسكرية أو حتى دينية، مميزة كمملكة سبأ. ولم يكن لتكلك المملكة أن تستقل عن مملكة سبأ إلا في فترات زمنية قصيرة، مستغلة الأوضاع الداخلية الصعبة التي كانت تمر بها من وقت لآخر بسبب التنافس على عرش المملكة.

دلت الشواهد الأثرية المادية على تقليد المعينيين للسبئيين في كثير من جوانب الازدهار الحضاري وخاصة في الجانب المعماري المتمثل بعمارة المدن وتصميم المعابد وتخطيطها والتقنيات المستخدمة في العمارة،وظهرت النماذج المعينية في فترات زمنية متأخرة عن تلك التي ظهرت في مملكة سبأ.

لا يرجع عدم ذكر مملكة معين في المصادر التاريخية العربية والإسلامية من قبل المؤرخين والنسابة العرب إلى قدم عهدها أو عمق تاريخها بالنسبة لمملكة سبأ، ولكنه يرجع في المقام الأول إلى الفترة الزمنية القصيرة التي ازدهرت فيها ككيان سياسي واندثارها المبكر قبل القرن الأول ق.م، الأمر الذي أدى إلى انقطاع أخبارها وندرة ذكرها في تلك المصادر.

يجب التفريق بين أمرين مهمين هما وجود المعينيين كقوم مؤثر في تاريخ اليمن القديم من جهة، وتبلورهم كمملكة من جهة أخرى، فقد كانوا موجودين ومؤثرين قبل وجودهم ككيان سياسي على شكل قبائل صغيرة ومدن، وظلوا كذلك بعد اندثار مملكتهم يعملون بالتجارة التي أشهرتهم كثيراً عند الأقوام الأخرى في شمال الجزيرة العربية ومنطقة حوض البحر المتوسط ومصر.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم
التوراة
إبـراهيم، معاويـة فلسـطين مـن أقـدم العصـور إلـى القـرن الرابـع ق.م. **الموسـوعة الفلسطينية**، مجـلد (٢)ط١ ،ص ٣-١٣٨، ميلانو: ميلانو أتامبا١٩٩٠م.
ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين تـاج العروس. مجلد (٤) بيروت: دار بيروت ١٩٦٨م.
أوليـري،دي لاسـي جزيـرة العـرب قبـل البعثـة.ترجمـة موسـى علـى الغـول، عمـان : منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٠م.
بافقيـه، محمـد عبـد القـادر تـاريخ الـيمن القـديم.بيـروت: المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر، ١٩٨٥م.
بريتـون، جـون فرانسـوا تقريـر أولـي عـن معبـد عثتـر ذي رصـف (السـوداء)**دراسـات يمنية**، عدد (٣٨) ص٢١١-٢١٩، صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٨٩م.

بيرين، جاكلين اكتشاف جزيرة العرب.ترجمة قدري قلعجي، بيروت :دار الكتاب العربي ١٩٨٠م.
بيستون، أ.ف ؛ وآخرون المعجم السبئي. بيروت: مكتبة لبنان ١٩٨٢م.
الجرو، اسمهان سعيد موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية(اليمن القديم).إربد: مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية،١٩٩٦م.
حلمي، إسماعيل محروس الشرق العربي القديم وحضاراته. ١٩٩٧م.
الحموي، ياقوت معجم البلدان. ج (٥) بيروت
دي ميجريت إليساندرو المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي يلا (خولان الطيال) الجمهوريةاليمنية. ترجمة عثمان الخليفة، روما : إسميو ١٩٨٨م.
ريكمنز، جاك حضارة اليمن قبل الإسلام.ترجمة علي زيد، **دراسات يمنية**، عدد(٢٧) ص١٢١- ١٣٢، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٨٧م.
الزبيدي،محمد مرتضى تاج العروس. مجلد (١) بنغازي :دار ليبيا ١٩٦٦م.
السعيد، عصام تاريخ العرب في العصور القديمة. الإسكندرية :دار المعرفة، ٢٠٠٠م.
شميدت، يورجن معبد ودم ذي مسمعم. في كتاب **تقارير أثرية من اليمن**، ج (١) ص١٩-٢٨، صنعاء : معهد الآثار الألماني ١٩٨٢م.
صالح، عبد العزيز الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية. الكويت: جامعة الكويت ١٩٨١م
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير جامع البيان في تفسير القرآن. مجلد (١) ، ج (١٠) بيروت :دار المعرفة : ١٩٨٧م.
عبد الله، يوسف محمد أوراق في تاريخ اليمن وآثاره. صنعاء : وزارة الإعلام والثقافة ١٩٩٠م.
العريقي، منير عبد الجليل الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم. القاهرة : مكتبة مدبولي ٢٠٠٢م.
عصفور، أبو المحاسن معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. بيروت: دار النهضة العربية.
على، جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ج(٥) بغداد، ١٩٥٦م.
غالب، عبده عثمان عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية. (مشروع وادي الجوبة الآثاري) ج(١) ترجمة زاهي حواس، القاهرة : دار الطويل ١٩٨٤-١٩٨٥م.
غالب، عبده عثمان عصور ما قبل التاريخ. **الموسوعة اليمنية**. ج(٢)صنعاء :مؤسسة العفيف الثقافية ١٩٩٢م.
غالب، عبده عثمان تقرير مبدئي عن المسح والتنقيبات في منطقة بدبدة (مأرب) الموسم الأول.
التاريخ والآثار، عدد (١)ص١٠-٦١، صنعاء :جمعية التاريخ والآثار اليمنية ١٩٩٣م.

غالب، عبده عثمان نظرية الفجوة الثقافية والاستيطان الحضري في اليمن القديم. **التاريخ والآثار**، عدد (٢،٣) ص ٤-١٧، صنعاء :جمعية التاريخ والآثار اليمنية، ١٩٩٣/١٩٩٤م.
فخري ، أحمد معبد المساجد ببلاد مراد. في كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية (فاس) ١٩٥٩م، القاهرة: جامعة الدول العربي ١٩٦١م.
قبيسي، محمد بهجت فقه اللهجات العربيات. دمشق : دار شمأل ١٩٩٩م.
المعمري، عبد الرزاق أحمد راشد ثقافتان من العصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية. **أدوماتو** عدد (١) الرياض ٢٠٠٠م.
المقرئ، أحمد بن محمد المصباح المنير. بيروت: المكتبة العصرية ١٩٩٧م.
مهران، محمد بيومي دراسات في تاريخ العرب القديم. الإسكندرية : دار المعرفة ١٩٩٣م.
موسكاتي، سبيتينو الحضارات السامية القديمة. ترجمة السيد يعقوب أبو بكر، بيروت: درا الرقي ١٩٨٦م.
مولر والتر نقوش من معبد الإله ودم ذي مسمعم. في **تقارير أثرية من اليمن**، ج (١) ص٢٩-٣٢، صنعاء : معهد الآثار الألماني ١٩٨٢م.
الهمداني، أبو محمد الحسن الإكليل. ج ٨ تحقيق محمد بن على الأكوع،١٩٨٦م.
هومل، فرتز التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية. في كتاب التاريخ العربي القديم، ص٥٥-١١٢، القاهرة: وزارة التربية والتعليم ١٩٥٨م.

References

Abbreviations of Periodicals

ABY: Archaologich Berichte aus dem Yemen
ASOR: American Schools of Oriental Research
BASOR: Bulletin of the American Schools of Oriental Research
BSOAS: Bulletin of School of Oriental and African Studies
EW: East and West
PSAS: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies

Albright, W.F The Chronology of Ancient South Arabia in the light of the first campaign of excavation of Qataban. **BASOR**, No (138) 1950

Albright, W.F The Chronology of the Minaean Kings of Arabia. BASOR, No (129)Pp. 20-24, 1953

Albright, W.F On the early South Arabian Inscription in vertical columns. **BASOR**, No (138) Pp. 50, 1955

Albright, W.F A note on early Sabaean chronology. **BASOR**, No (43) Pp.10, 1956
Avanzini, Alessandra Inventario delle Iscrizioni Sudarabish. Tomo (4) Roma 1995
Beeston, A.F.L Notes and Communications , A Minaean Market Code. **BSOAS,** Vol. (LXI) Pp. 141, London 1978
De Maigret, Alessandro A bronze Age for Southern Arabia**. EW**, Vol. (34), No 1-3, Pp. 75- 106,Rome, 1984
De Maigret, Alessandro The Excavation of the Temple of NAKRAH at Baraqish (Yemen) **PSAS,** Vol. (21), Pp. 159-172,London 1991
DiMario, Francesco The Neolithic of Ramlat As- Saba<tayn Desert. EW**, Vol. (36), No 4, Pp. 414-418, Rome, 1986** Diodrus of Sicily 1950
Fedle,G.Francesco Fauna of Wadi Yana<im, Yemen. **EW,** Vol. (34),No 1-4, Pp. 117- 125, Rome, 1984
McClure,H.A Late Quaternary Palaeogeography and Landscape Evolution of the Rub< Al Khali.in the **Araby the Blest,** Pp. 9-13, Copenhagen 1988
Phillips, Wendell Qataban and Sheba. Victor Gollacz LTD, London 1955
Pirenne, Jacqeline Palaeogrraphical Chronology of the Sabaean dated Inscriptions with references to several ears. **PSAS,** No (4) Pp. 118-130 London 1974
Robin, Chrisian Tow Inscriptions from Qaryat al-Faw mentioning women. In **Arabythe Belst**, Pp. 168-175 Copenhagen, 1988
Robin, Chrisian Inventaire des Inscriptions Sudarbiques. Tome (1), Paris1992

Sauer,J. et al. Archaeology along the Spice Route of Yemen .In **Araby the Blest**, Pp. 44-115 Copenhagen1988
Schmidt, Jurgen Tempel und Heiligtum von al-Masagid. **ABY,**Band (I) Pp. 135 -141,Mainz1982
Schmidt, Jurgen Der <ttr – Tempel bei Ma< in. **ABY,** Band (I) Pp.143-152, Mainz1982
Strabo The Geography of Strabo. 1961

Van Beek,Gus A Radiocarbon Date for early South Arabia .**BASOR** ,Vol.(143)Pp.6-91950

Van Beek,Gus Marginally drafted, Packed Masonry. In Archaeological Discoveries in South Arabia Vol. (II) Pp. 287-295, Baltimore 1958

Van Beek,Gus South Arabian History and Archaeology.In The Bible and the Ancient Near East, Pp. 229-248 ,Indiana 1979

Winnett, F. The Place of the Minaean in the History of Pre – Islamic Arabia. **ASOR,** No (37) Pp. 3-9, 1939

Wissmann, V.Hermann Sammlung Eduard GlaserIII Zur Geschichte und

Landeskunde von Alt – Sud –Arabien .Wien 1964

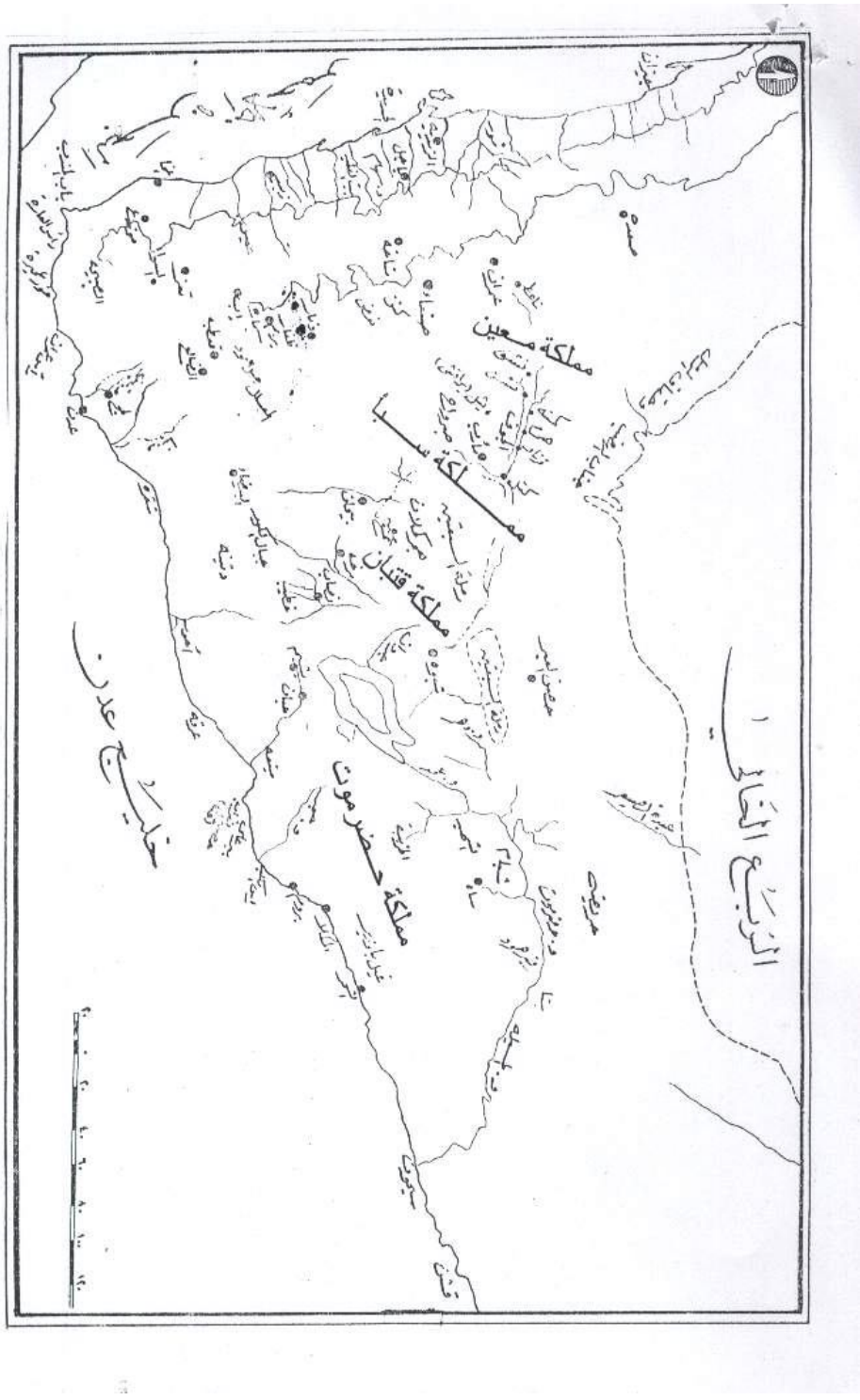

(شكل ١ مواقع ازدهار الممالك اليمنية القديمة . عن : العريقي، منير عبد الجليل ٢٠٠٢م)

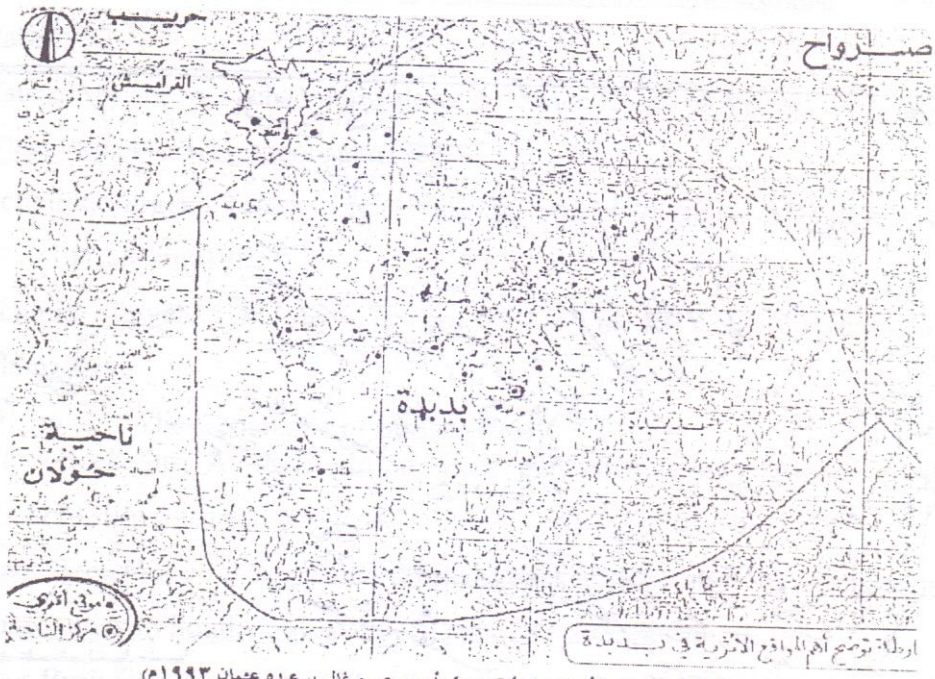

(شكل ٢ المواقع الأثرية في منطقة بدبدة مأرب. عن : غالب، عبده عثمان ١٩٩٣م)

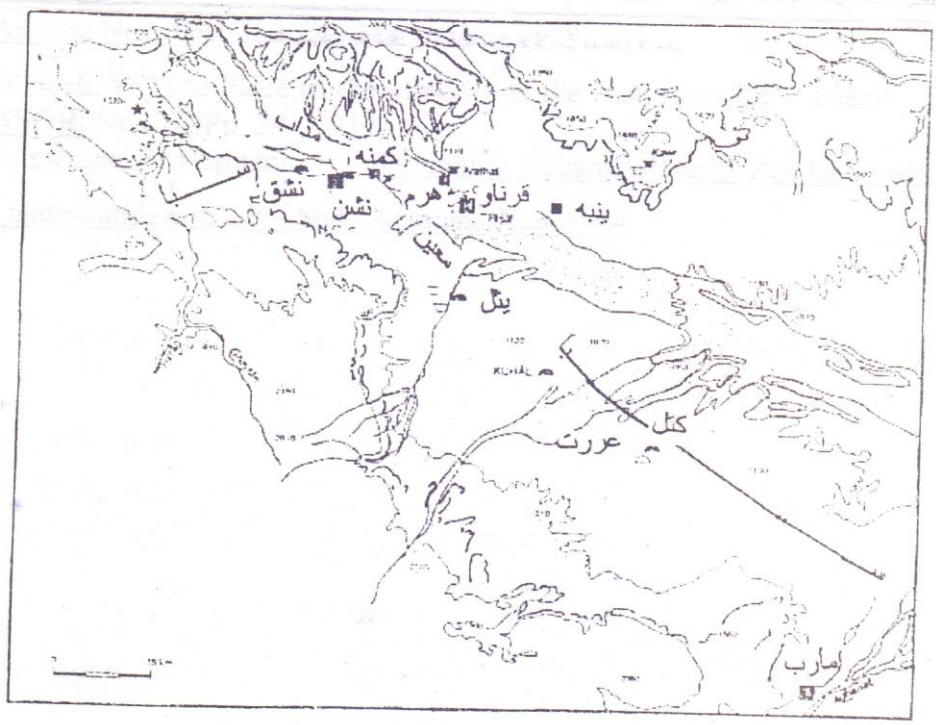

(شكل ٣ توزيع المدن في وادي الجوف. عن: Robin 1992)

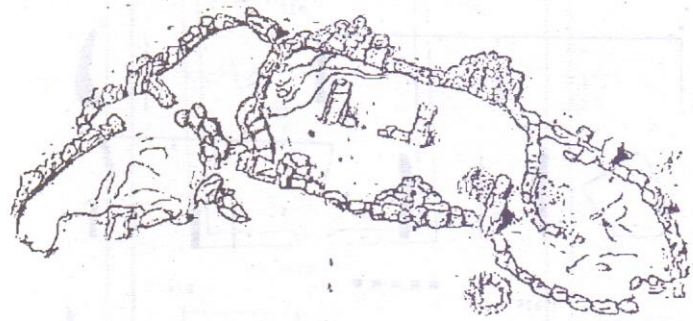

(شكل ٤ لخطيط منزل من العصر البرونزي، خولان، مملكة سبأ. عن : De Maigret, 1988)

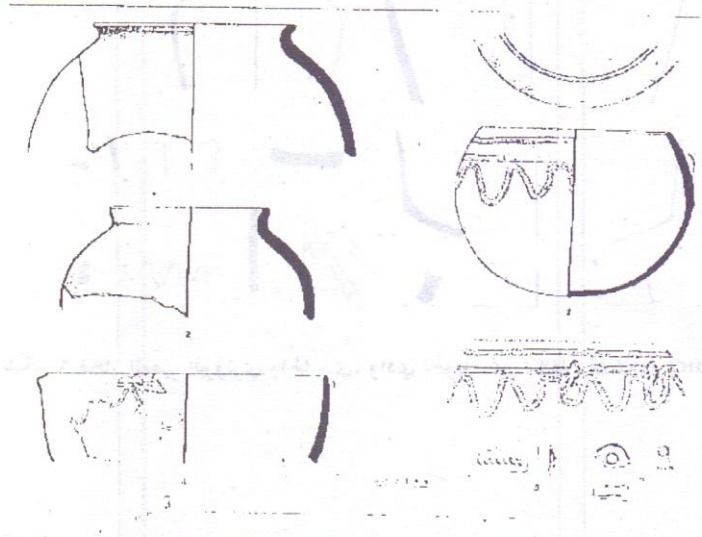

(شكل ٥ فخار العصر البرونزي، خولان عن : De Maigret, 1988)

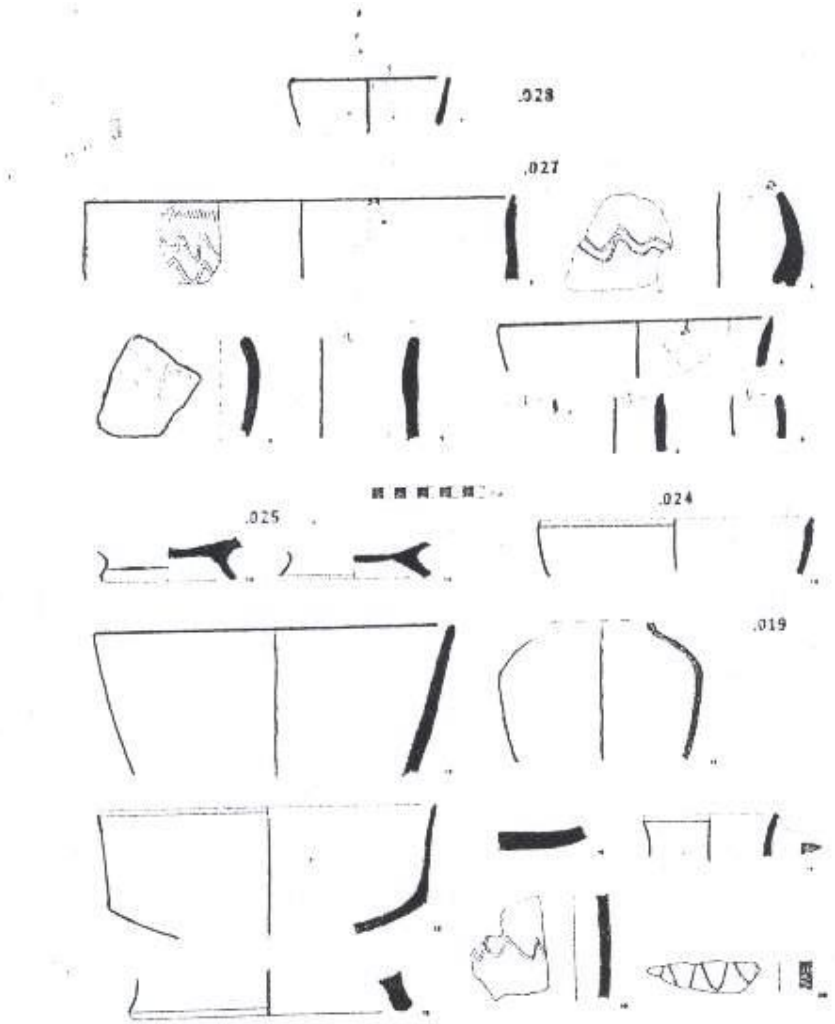

(شكل ٦ فخار العصر البرونزي والحديدي، وادي الجوبة. عن : Sauer,J. et al 1988)

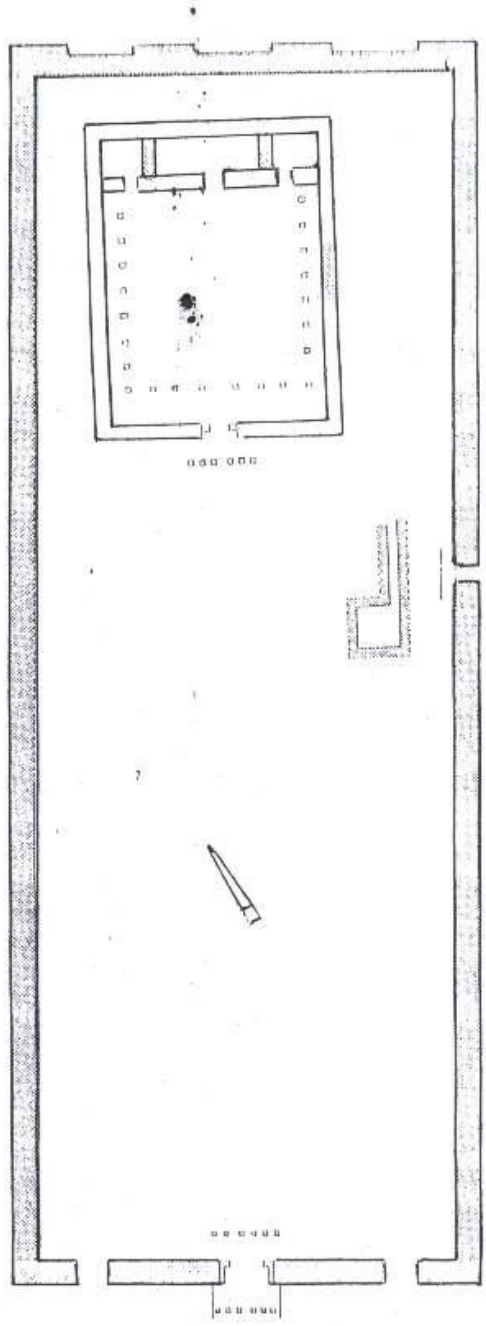

(شكل ٧ معبد إل مقه (معرم) مأرب، مملكة سبأ . عن: Schmidt 1982)

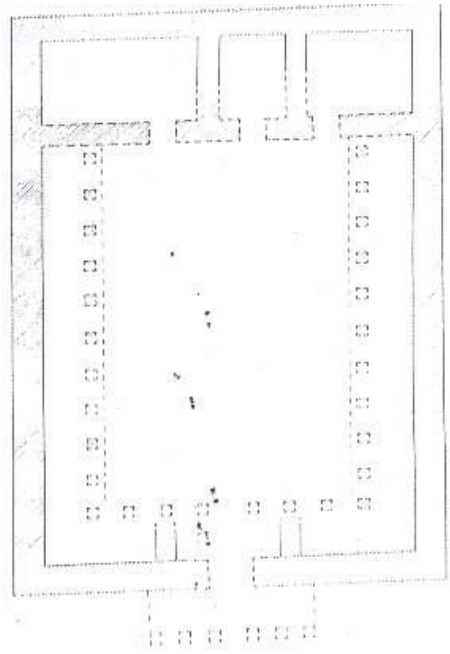

(شكل ٨ معبد ودم ذي مسمعم، مأرب مملكة سبأ. عن : شميدت، يورجن ١٩٨٢)

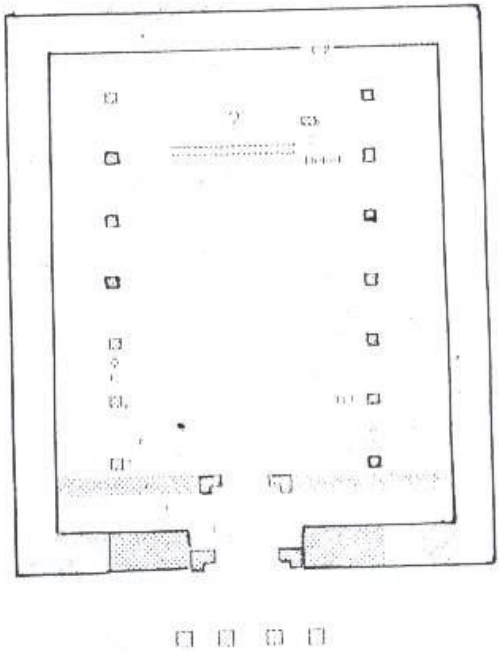

(شكل ٩ معبد عثتر ذي رصف ، قرناو مملكة معين. عن : Schmidt, 1982)

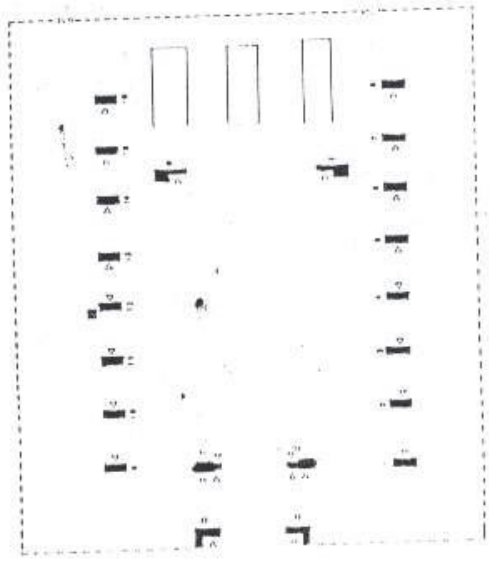

(شكل ١٠ معبد عشتر ذي رصف، مدينة نشن، مملكة معين. عن : Avanzini1995)

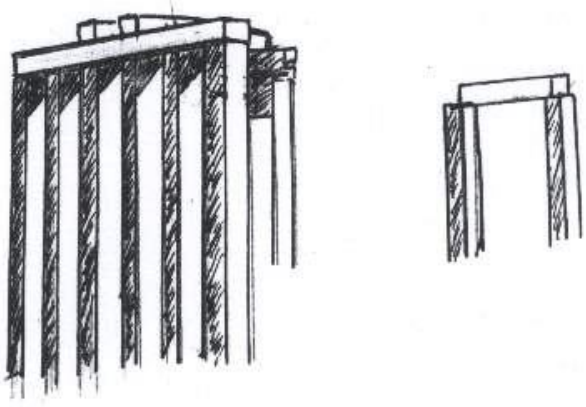

(شكل ١١ البوابة الخارجية لمعبد معربم، مملكة سبأ. عن فخري ١٩٦١م)

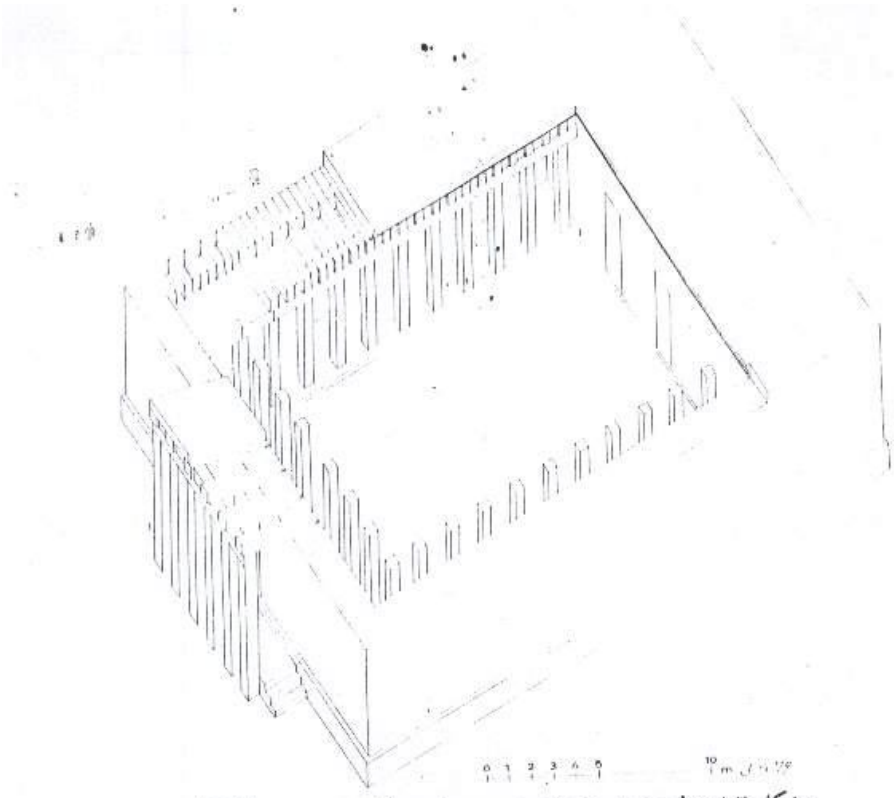

(شكل ١٢ منظور معبد ودم ذي مسمعم. عن : شميدت، يورجن ١٩٨٢)

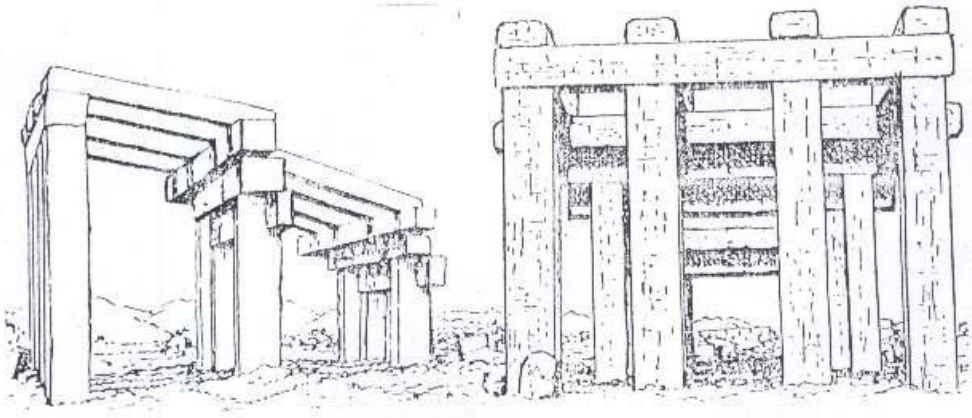

(شكل ١٣ بوابة معبد عشتر ذي رصف، قرناو مملكة معين.عن : Wissmann,V 1964)